سِيميَائِيَّةُ السَّرْدِ القَصَصِيِّ في
"خَالَتِي كَدَرْجَانّ" لأَحْمَد السِّبَاعِيّ

The Semiotics of Storytelling
in "My Aunt Kadarjan" by Ahmed Al-Sebaei

إعداد الدكتور
إبراهيم عمر علي المحائلي
Ibrahim Omar Ali Al-Mahaili
أستاذ الادب والنقد المساعد
بكلية العلوم والآداب بمحايل عسير
جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

سِيميَائِيَّةُ السَّرْدِ القَصَصِيِّ فِي "خَالَتِي كَدَرْجَانْ " لأَحْمَد السِّبَاعِيّ

إبراهيم عمر علي المحائلي
قسم الادب والنقد ، بكلية العلوم والآداب بمحايل عسير، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

المُلخَصُ:

أُحَاوِلُ في هَذَا البَحْثِ مِن خِلَالِ الدَّرسِ السِّيميَائِيّ دِرَاسَةَ القِصَّةِ القَصِيرَةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" لِلأَدِيبِ السُّعُودِيّ أَحمَد السِّبَاعِيّ(١٩٠٥-١٩٨٤م) دَاخِلِيًّا وخَارِجِيًّا؛ لِلكَشفَ عَنِ الجَوانبِ الفَنِّيَّةِ من نَاحِيَةٍ؛ وُصُولًا إِلَى مُستَوياتِ التَّأْوِيلِ التي تَمنحُها عَلاماتُها، لتَفسِيرِ أَسْبَابِ شُهْرَتِها، ومَكَانَتِها البَارزَةِ في جِيلِ الرُّوَّادِ، وبَيَانِ مَدَى إسهامِهَا في تَطْوِيرِ فنِّ كِتَابَةِ القِصَّةِ القَصِيرَةِ السُّعُودِيَّةِ، ومدَى ملامستِهَا لهمومِ الفَردِ والمُجْتَمَعِ آنَئِذٍ، للمقارنَةِ والمُوازَنَةِ للإشَارَةِ إِلَى ما وَصَلَتْ إليهِ المَرْأَةُ السُّعُودِيَّةُ المُعَاصِرةُ من حُقُوقٍ، وحُريَّاتٍ، وقُدرَتها على اتّخاذِ قراراتِهَا المِصِيريَّةِ، وَالزَّوَاج.

وتَقتَضِي طبيعَةُ الدَّرْسِ السِّيميَائيّ أَنْ تتَوَقَّفَ الدِّرَاسَةُ أَمَامَ عُنوَانِ القِصَّةِ، والمفتتح، والمقطعِ الأيقونيّ، لا سيَّما المَقْطَعَ الثَّانِي والخَاتِمةِ، وسِيميَائيّاتِ الكُرُونُوتُوب، واللُّغَةِ، والأُسْلُوبِ، والتَّصْوِيرِ، ومِن قَبلِ ذَلكِ عَناصِرِ البِنَاءِ السَّرْدِيّ.

وَمِن أَهَمِّ أَهْدافِ البَحْثِ الكشْفُ عَن جَمَاليَّاتِ القِصَّةِ، وَخِطَابِها المُعلَنِ والمُضمَرِ، ودَورها فِي تَطوِيرِ القَصِّ السُّعُودِيّ، ومَدَى تأثِيرها في تَنَاوُلِ بقَضَايَا ومُشْكِلَاتِ المُجْتَمَع.

وتَكْمُنُ أَهَمِيَّةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ في الوُقُوفِ عَلَى خِطَابِ القِصَّةِ دَاخِلِيًّا وخَارِجيًّا بِوَصْفِها مِن نِقَاطِ ارتكَازِ البَدَايَاتِ في القِصَّةِ القَصِيرَةِ السُّعُودِيَّةِ؛ ومدَى قُدرَتِها عَلَى مُعَالَجَةِ القَضيَّةِ المَطْرُوحَةِ آنَئذٍ، وَهَلْ يُمكِنُ مِن خِلَالِها رَصْدُ التَّحَوُّلَاتِ الفنِّيَّةِ والاجتِمَاعِيَّةِ في وَاقِعِنا المُعاصِرِ، ومَدَى قُدرَتِها فيما تُبْرِزُهُ من حُلُولٍ تَجاوَزْنَاها.

وَلعَلَّ مِن أَبْرَزِ فرْضِيَّات الدِّراسةِ:

١- كَيفَ بنَى أَحْمدُ السِّبَاعِيّ قِصَّتَهُ؟ وما العَناصِرُ المُكَوِّنَةُ لِخِطَابِها؟

٢- لِمَ أسْهَمتْ هَذهِ القِصَّةُ تَحْدِيدًا في تَطويرِ القَصِّ السُّعُودِيّ؟

٣- ما التَّأوِيلَاتُ المُحْتَمَلَةُ لِخِطَابِ القِصَّةِ القَصِيرةِ؟

مَنهجُ البَحثِ :هُوَ المَنهجُ السِّيميَائِيُّ.

الكَلِمَاتُ المَفْتَاحية: كَدَرْجَانْ، سيميائيَّة، عَناصِرُ السَّردِ، العُنوَانُ، المُفتتَحُ، الخَاتمَةُ.

The Semiotics of Storytelling in "My Aunt Kadarjan" by Ahmed Al-Sebaei

Ibrahim Omar Ali Al-Mahaili

Department of Literature and Criticism, College of Arts and Sciences, Mahayil Asir, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.

Abstract:

In this research, I try, through a semiotic study, to study the short story, "My Aunt Kadarjan " by the Saudi writer Ahmed Al-Sibai (1905-1984), internally and externally, to reveal the artistic aspects on the one hand, up to the levels of pioneering, the reasons for her fame, the reasons that give her the prominent signs of her interpretation. And an indication of the extent of her contribution to the development of the art of writing the Saudi short story, and the extent to which it touches on the concerns of the individual and society at the time, for comparison and balance to indicate what the contemporary Saudi woman has achieved in terms of rights, freedoms, and her ability to make her fateful decisions, and marriage .

The nature of the semiotic lesson requires that the study stop before the title of the story, the opening, and the iconic section, especially the second section and the conclusion, and the semiotics of chronotope, the language, the style, the

imagery, and before that the elements of narrative construction.

One of the most important objectives of the research is to reveal the aesthetics of the story, its declared and implicit discourse, its role in developing Saudi storytelling, and the extent of its influence in dealing with the issues and problems of society.

Keywords: Kadarjan, semiotics, narrative elements, title, opening, concolusion

- **المُقَدِّمَــةُ:**

صَارَ مِنَ المَعْلُومِ أَنَّ فنَّ القصَّةِ القَصِيرَةِ مِن أَقدَمِ الفنُونِ الأَدبيَّةِ التي عَرَفَها الإِنسانُ؛ فقدْ حَفِظَتْ لَنَا الذَّاكِرَةُ الأُنثربولوجيَّةُ ما يَصْنعُهُ الأطفالُ مِنْ طَلَبِ الحِكَايَةِ مُنْذُ فَجْرِ التَّارِيخِ. وَحَدِيثُ الجِدَّاتِ مَوجُودٌ في كُلِّ الثَّقَافاتِ.

ولكِنَّ القصَّةَ القَصِيرَةَ بمَعنَاها الاصطِلَاحِيّ، وشُرُوطِهَا المُقنَّنةُ ظَهَرَتْ فِي أُخْرَياتِ القَرْنِ التّاسِعِ عَشَرِ، ولعَلَّ مِصْرَ وسُوريَّا كَانَتَا أَسبقَ إلى مَعْرِفَتِهَا فِي أَوَائِلِ القَرنِ التّاسع عَشَرَ؛ لِطَبيعَةِ التَّكوينِ الثَّقَافيّ والأُنثُربولُوجِيّ والظُّرُوفِ الكَثيرَةِ المُعَقَّدَةِ المَعرُوفَةِ لنَا جَمِيعًا.

وَتَأَخَّر فَنُّ القَصِّ في المَملَكَةِ العَربيَّةِ السُّعُوديَّةِ إلى الخَمْسِينيَّاتِ المِيلَاديَّةِ، ونَشَطَ فِي السَّبْعِينيَّاتِ المِيلادِيَّة للقَرنِ العِشرينَ، والأَدِيبُ أحمد السِّباعِيّ(١٩٠٥-١٩٨٤م) مِنَ الأُدَباءِ الرَّوَّادِ، والقَصَّاصِينَ الأَوائِلِ في السُّعوديَّةِ، وقدِ اقتضَتْ طَبيعَةُ تلكَ الفترَةِ أَنْ تَكُونَ لِلقِصَّةِ القَصِيرَةِ، وللأَدَبِ عامَّةً، أَهدافٌ تربويّةٌ وأخلاقيّةٌ، وخاصَّةً قضايا المرأةِ، وأَعتمِدُ في بَحثِي عَلَى طَبْعَتَها الثَّانيَةَ الصَّادِرَةَ عنْ دارِ تِهامَةَ بالسُّعُوديَّة ١٩٨٠م فِي سِلْسِلَةِ الكِتَابِ العربِيّ، الكِتَاب رَقْم ثَمَانِيَةَ عَشْرَ.

وقَدِ ارتَبطَتِ القِصَّةُ القَصيرةُ مُنذُ مَهدِهَا بِالمُرَكَّبِ الوَعْظِيّ التَّرْبوِيّ؛ لأَنَّها تَقتَبسُ قِطعَةً مِنَ الحَيَاةِ تَستَخْرجُ منهَا العِبرَةَ والمَثَلَ؛ فأَقدَمُ القَصَصِ العَرَبيَّةِ يُمكِنُ أَنْ نَلتَمَّسَها في قَصَصِ مَوَارِدِ الأَمثالِ، وكلُّهَا ذَاتُ غَاياتٍ خُلقيَّةٍ[١].

ومِن ثَمَّ؛ فيُمكنُنا أَنْ نَستَوعِبَ غايةَ أحمد السِّبَاعِي مِنَ السَّردِ، وإِدْراكَهُ لأَهمّيَّةِ القِصَّةِ القَصيرَةِ في مُناقشَةِ قَضَايَا المُجْتَمَعِ؛ لأنَّ رِسَالتَهُ العامَّةَ تَرَكَّزتْ في إصلَاحِ المُجتَمعِ، ورَفعِ دَرَجَةِ الوَعي المُجْتَمَعِيّ، التي يَرَى أَنَّها تَبدَأُ بإِصْلَاحِ أَحْوالِ المَرأَةِ ومُعالجَة قضَايَاهَا[٢]؛ لِذَا نَرَاهُ يُشِيرُ في مُقدِّمَةِ مَجمُوعَتِهِ القَصَصِيّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" إلى هَذهِ الغايةِ:" أَرَدْتُها أَقاصِيصَ مِن صَمِيمِ الحَياةِ.. أَرَدْتُها لتَكُونَ مِرآةً

١ - يراجع، القصة القصيرة(تاريخًا، ونظريّة، وإبداعًا)، الطاهر أحمد مكي، السعودية، مكتبة المتنبي، الطبعة الحادية عشرة،٢٠١١ م، ص ٣١.

٢ - يراجع، أحمد السباعي أديبًا، سعيد علي الجعيدي، رسالة ماجستير، السعودية، كلية اللغة العربيّة بمكة المكرمة، ١٩٩٩م، ص ١٧-١٨.

يُصَافِحُنَا فِيهَا وَاقعنا مِن غَيرِ رُتُوشٍ، وَأَنَا أُؤَمِّلُ أن تُعالَجَ بأَمثَالِهَا بَدَاوَاتُنَا الخَاطِئَةِ!!" (١).

وآثَرْتُ أَنْ يَكُونَ المَنهجُ السّيميائِيُّ مِنْهاجًا لِي في بَحثِي؛ لأنَّ السّيميائِيَّاتِ الحَدِيثةَ تُمَكّنُنا مِنْ تَحْصِيلِ المَعنَى؛ لأنَّهَا تَسْمَحُ بالتّعرّفَ عليهِ مِنَ الدَّاخِلِ والخَارِجِ، واستِثمَارِ كُلِّ إشَارَاتِهِ المَعْرفيَّةِ؛ كَمَا تَتبَّعَ شَبَكَةَ العَلَاقاتِ بينَ البنيَةِ النَّصِّيّةِ والأُصُولِ الأَبستِمُولُوجِيَّةِ، والبُعْد عَنِ المَقولاتِ المُقَولَبَةِ، والسَّعْي نَحْوَ كُلِّ تَأويلٍ مُحْتملٍ للخِطَابِ الأدَبِيّ (٢).

وَمِن أَهمِّ صُعُوباتِ الدِّرَاسَةِ قِلَّةُ الدّراسَاتِ النَّقْديَّةِ المَنْهجيَّة في القصَّة القصيرةِ السُّعُوديّةِ، وبخاصَّةٍ دراسةٍ قصصُ الرُّوادِ الذينَ يقعُ السّباعيّ في قلبهم، ويشغلُ دُرّة عقدهم.

وقَدْ قَسَّمْتُ بَحْثِي بِنَاءً عَلَى هذهِ المَفاهيمِ إلَى مَجْمُوعَةِ مَحَاوِرَ؛ هي: سِيمِيَائِيَّةُ العُنْوَانِ، سِيمِيَائِيَّةُ الحَدَثِ، سِيمِيَائِيَّةُ الصِّرَاع، سِيمِيَائِيَّةُ الشَّخْصِيَّات، سِيمِيَائِيَّةُ الفَضَاءِ المَكَانَيّ، سِيمِيَائِيَّةُ الفَضَاءِ المَكَانَي، سِيمِيَائِيَّةُ اللُّغَةِ، سِيمِيَائِيَّةُ الصُّورَةِ.

وتَشْتَمِلُ الخطـةُ المقترحَةُ للدِّرَاسَةِ عَلَى مُقدِّمَةٍ وتَمْهيدٍ وثمانيَةِ مَطَالبَ وَخَاتِمَةٍ مردُوفَةٍ بِثبتٍ يَشْمَلُ أَهَمَّ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ.

وتَشْمَلُ المُقدِّمَـةُ أَسبَابَ اختيَارِ المَوضُوعِ، والصُّعوباتِ التي تُواجِهُ أَمْثَالَ هذهِ الدِّرَاسَاتِ في أَثْنَاءِ البَحثِ، وفرضِيَّاتِ الدِّرَاسَةِ، ومِنهَاجيَّةَ البحثِ، وأهميَّتَهُ، وأهدافَهُ، ثُمَّ خُطَّتَهُ، وأشرتُ للمَصْدَرِ الرّئيسِ الذِي تَدُورُ حَولَهُ فِكْرَةُ البَحثِ ومُعَالجتُهُ، وفي التَّمهيدِ نُعرِّفُ بالكَاتبِ أَحمَد السِّبَاعِيّ تَعريفًا مُوجَزًا في ضَوءِ ما يتّصِلِ بمَوضُوعِ بَحثِنَا، وأَهَمِّيَّة المَنهجِ السّيميائيّ في قِرَاءَةِ السَّردِ القَصَصِيّ داخلّيًا وخارجيًّا، ثُمَّ تَتَوالَى المَطَالِبُ المتطلّبَةُ وَفْقَ المنهاجيَّةِ المُختَارَةِ.

---

١ – الكتاب العربي السعودي رقم ١٨، خالتي كدرجان، أحمد السباعي، تهامة، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ م، ص ٩.

٢ – يراجع، النَّظريّة السّيميائيَّة(مسار التّوليدِ الدَّلالِيّ)، أ.ج جريماس، ج. كورتيس، ف. راستيي، د.باط، ترجمة: عبدالحميد بورايو، الجزائر، دار التّنوير،٢٠١٣م، ص ٨–٩.

التَّمْهِيدُ:

مَعَ أنَّ العَرَبَ أُمَّةٌ شَاعِرَةٌ سَارِدَةٌ بِفِطْرَتِها؛ فإنَّ فنَّ القِصَّةِ القَصِيرَةِ السُّعُودِيَّةِ تأخَّرتْ في الظُّهُورِ، ويعودُ الفَضْلُ فيهَا إلَى الصَّحَافةِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، وَإلَى كَتاباتِ أَحمد السّباعي بصُورةٍ خاصَّةٍ؛ فقدْ بدأتْ إرهَاصَاتُها بمَقَالاتِهِ التِي عَنوَنَهَا بـ" الأَدَب النّسْويّ في الحِجَازِ" سَنَةَ ١٩٣٤؛إذ ابتكرَ شَخْصِيَّات نِسَائِيَّةً سمَّاها "مُتَعَلِّمَة حِجَازِيَّة" عَلَى مِثالِ شَخْصِيَّات أُخْرى فارَقتِ الدُّنيا، ويَجْعلُ مِنْها شَخْصِيَّاتٍ قَصَصيَّةً مُتخيلَةً ليُعَالِجَ المَورُوثَاتِ، وَيُدَافِعُ عَنْ حُقُوقِ المَرْأَةِ، وَهُوَ بِذَلكَ مُتَأَثِّر بالبِيئَاتِ الثَّقافيَّةِ المُجاورَةِ في مِصْرَ خَاصَّةً، وبِمَا شَاعَ مِن إصلَاحٍ اجتِمَاعيٍّ عِندَ العقَّادِ وهيكَل والمَازنِيّ، ومِنْ قَبلِهم طَه حُسَين وغَيرهِم في الأَدَبِ الحديثِ بالانتشَارِ مِن خِلَالِ الصُّحُفِ والمَجلَّات القَدِيمَةِ[١].

وَمِنْ أَهمِّ ما تَتَمَيَّزَ بِهِ القِصَّةُ القَصيرَةُ السُّعُودِيَّةُ خِلَالَ العَصْرِ الحَدِيثِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي بِدَايتِهَا مَقَالَاتٍ قَصَصِيَّةً، أقربَ إلَى المقالةِ الاجتِمَاعيَّةِ؛ لأنَّها تَنتَقِدُ التَّقَاليدَ الاجتِمَاعِيَّةَ البَاليَةَ، وَيُعَدُّ أحمدُ السِّبَاعِيّ مِمَّنْ بَرَعُوا فِي مِثْلِ هَذَا النَّوعِ بِأُسْلُوبِهِ المُبَاشِرِ؛ إذْ نَشَرَ "مُلَاحَظَات حُرَّة، وَأَورَاق العِيدِ" التِي نَشَرَهَمَا في "صَوتِ الحِجَازِ عَامَ١٩٣٥م. وَصِيغَتْ مَجمُوعَاتٌ أُخْرَى بأُسْلُوب المَقَامَاتِ عِنْدَ بَعضِ كُتَّابِهَا؛ كما نَجِدُ عِنْدَ: مُحمَّدُ حَسَن عَوَّاد في كِتَابِهِ: "خَوَاطِر مُصَرَّحَة" سَنَةَ ١٩٢٦م تَحْتَ عُنْوَانِ: "الزَّوَاجِ الإِجْبَارِيّ"، وقِصَّةٍ أُخْرَى في العَامِ نَفْسِهِ بعُنْوَانِ: "عَلَى مَلْعَب الحَوَادِثِ"[٢].

وَقَدْ وَقَعَ اختِيَارُنَا عَلَى قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" لِدِرَاسَتِهَا سِيمِيَائِيًّا لِأَحمَد السِّبَاعِي؛ لِمَا حَظِيَتْ بِهِ مِنَ احتِفَاءٍ عَلَى المُسْتَوى البِيدَاغُوجِي في مَرَاحِلِ التَّعْلِيمِ، والإشهَاريّ في التَّرْجَمَةِ والتَّدَاولِ، وقَدْ جَعَلَ عُنْوَانَها عُنْوَانًا لمَجمُوعَتِهِ التي نَعتمِدُ طَبْعَتَها الثَّانيَةَ الصَّادِرَةَ عنْ دار تِهامةَ ١٩٨٠م في سِلْسِلَةِ الكِتَابِ العَرَبِيّ السُّعُودِيّ.

---

١ – يراجع، الأدب النّسائيّ السُّعوديّ(نظرات في الرؤيا والتشكيل)، فوزية محمد بريون، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٩م، ص ٦٦ –٦٧.

٢ – يراجع، دراسات في القصة السعودية والخليج العربي، محمود رداوي، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٢٩–٣٠، ص ٥٦–٥٧.

فَتُعَدُّ قِصَّةُ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" أَشهَرَ القِصَصِ القَصِيرَةِ لِروّادِ القِصَّةِ السُّعُودِيَّةِ، وَقَدْ تُرجِمَتْ إِلَى عِدَّةِ لُغَاتٍ؛ مِنهَا الإِنجلِيزِيَّةُ والفَرَنْسِيَّةُ والأَلمَانِيَّةُ والإِسبَانِيَّةُ والبُرتُغَالِيَّةُ، واُختِيرَتْ لِتُدرَّسَ في المَرَاحِلِ الثَّانويَّةِ في وِلَايةٍ أَمرِيكيَّةٍ؛ لأَنَّها في نَظَرِ بَعضِ النّقَّادِ القريبينَ زَمنيًّا مِنْ جيلِ الرُّوَّادِ ممَّن كُتَّابِ القَصَصِ القَصِيرَةِ الأَكْمَلُ فنِّيًّا فيمَا كَتبَهُ مُعاصِرُوهُ. ويمثّلُ السِّبَاعِيُّ، مِن وِجهةِ نظرِ النُّقَّادِ السُّعُودِيِّينَ نَقلةً نَوعيَّةً في كتابةِ القِصَّةِ القَصِيرَةِ، فقد كَانَتْ قبْلَهُ مُجرّدَ رَسَائلَ أَدبيَّةٍ لِلوعْظِ والإرشَادِ والتّنديدِ بالعَادَاتِ السَّيِّئَةِ دونَ اهتمامٍ بالبناءِ القَصَصِيّ، والتّعمُّقِ في رسمِ شَخْصِيَّاتها وأبعادِ مَلَامِحِها وتِقنيَاتِ السَّردِ[1].

ومِنْ ثَمَّ كَانتْ هَذهِ هِيَ أَهمُّ الأَسبَابِ التي دَفَعتنِي لاختِيَارِ قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" لدراستي هَذِهِ.

٠- أَحْمدُ السِّبَاعِيّ وَاسِطَةُ العِقْدِ :

١/٠- حَيَاتُهُ: يُعَدُّ السِّبَاعِيُّ مِنْ رُوَّادِ الثَّقافَةِ السُّعُودِيَّةِ الأَوَائلِ؛ وُلِدَ في مكَّةَ المُكرَّمةِ عامَ ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، وتلقَّى تعليمَهُ الأَوَّلِيَّ في كتَاتيبِهَا، والتحقَ بالمَدرَسَةِ الهاشِميَّةِ، ثُمَّ التَحقَ بِمَدرَسَةِ الأَقبَاطِ العُليَا بالإسكندَريَّةِ، ومكثَ بها عَامينِ، عَادَ بَعدَهُما إِلَى مَكَّةَ.

وكَانَ أَنْ فَقدَ أَباهُ وهوَ في سنٍّ مبكِّرةٍ، فَتَحَمَّلَ مَسؤوليَّاتِ أُسرتِهِ، ولَكِنَّ طُموحهُ سَاعدهُ عَلَى الالتِحاقِ بسِلكِ التَّعليمِ؛ حتَّى صَارَ مِن أَكبرِ الصّحفِيّينِ وأَلْمَعِهِم، وأكثرِهم تَأثيرًا وَتَأليفًا؛ فَقَدْ صَارَ غَزِيرَ الإِنتَاجِ مَوسُوعيًّا، لهُ أَكثرُ مِنْ عِشْرِينَ كتَابًا في الأَدَب والتَّاريخِ، والأمثالِ، والسِّيرةِ الذّاتيَّةِ، والفَنّ القَصَصِيِّ، وكُتُبِ الحَجِّ والزِّيارةِ، وقَدِ استوحَى قصَّتَهُ" خَالتِي كَدَرْجَانْ" مِنْ أَيَّامِ طُفولتهِ التي عَاشَها في أواخِرِ العَصرِ العُثمانِيِّ[2].

1 – يراجع، تجربة فكرية، (مقالة)علي الشدويّ، موقع (ثقافات)، ١٨ مايو ٢٠١٤م، ص٧.

٢ – يراجع، قاموس الأدب والأدباء في المملة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٣م، ٢/٧١٦-٧١٧.

فَهُوَ أَدِيبٌ فَذٌّ، صَادِقُ التَّعبيرِ، وصَحَفيٌّ لامعٌ، برزَ في الكتابَةِ الصَّحَفِيَّةِ بروزًا لافِتًا؛ حتَّى لقِّبَ بـ"شيخِ الصَّحَافَةِ في الحِجَازِ"، برعَ في كتابَةِ المقالاتِ الاجتماعيَّةِ، وكتبَ القِصَّةَ القصيرَةَ؛ فكَانَ من رُوّادِها[1].

٢/٠- **أَهَمُّ آثارِهِ الأَدَبِيَّةِ واتّجاهُهُ القصصيّ:** مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِهِ الاجتِماعِيَّةِ "فِكْرَةٌ"،" أَبُو زامِل"،" صَحيفَة السَّوابِق"،" فلسَفَة الجِنِّ"،" يوميَّات مَجنُون"،" دَعُونا نَمشِ"، وصَار رئيسَ تَحريرِ جَريدَةِ صَوتِ الحِجَازِ، وأَصْدرَ جَرِيدَةَ "النَّدوة" وفي أسلوبِهِ سُخْريةٌ وتمَرُّدٌ وتجديدٌ، وتحرُّرٌ؛ فقَد لقَّبُوهُ بشيخِ الصَّحَافَةِ المتَحرِّرِ، وركَّزَ في قَصَصِهِ عَلَى الأَدْواءِ الاجتِماعيَّةِ؛ كالنِّفاقِ، والتَّسَلُّقِ، والطُّغْيَانِ، والظُّلْمِ، وَاستِغلَال النُّفُوذِ، وقَضَايا المَرأةِ. كما كتبَ روايةً بعُنوَانِ "فِكْرة" لم تَخرُجْ عَنْ هَذهِ الأَهْدَافِ التَّربَويَّةِ[2].

وبشَيءٍ منَ التّوضيحِ؛ فَفَلْسَفَةُ الجِنِّ مَجمُوعَةٌ قَصَصِيَّةٌ صَدَرَتْ فِي القَاهِرَةِ بمطبعةِ دارِ التَّأليفِ،١٣٦٨هـ، و"يوميَّاتُ مَجْنُونٍ" مَجمُوعَةٌ قَصَصِيَةٌ صَدَرَتْ فِي القَاهِرَةِ عنْ دارِ مَمْفيس،١٣٨٧هـ/١٩٥٨م، وخَالَتِي كَدَرْجَانْ وقصصٌ أُخرى: مَجمُوعَةٌ قَصَصِيَةٌ صَدَرَتْ طَبعتُها الأُولَى فِي مكة المُكرَّمةِ، عنِ دارِ قُرَيْش،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وقد كَانَتْ وَفاتهُ يَومَ الثُّلاثَاءِ ١٦/١٢/١٤٠٤هـ[3].

والسّباعيّ مَعَ أحمَد قِنديل هُما أَبْرزُ قصَّاصِي الاتِّجَاهِ الوَاقِعِيّ في بَوَاكيرِ الوَاقعِيَّة في السَّردِ السُّعُوديّ؛ فالقِصَّةُ عندهُ لَيسَتْ ذَاتَ حُدُودٍ ثَابِتَةٍ،ولا قوالبَ معيّنةٍ، وقد اقتربَ مِنْ عَالمِهِ، ورَسْمَ شَخصِيَّاتِ وَاقِعِهِ عَلَى طَرِيقةِ البنَاءِ المَسرَحِيّ؛ فرَسمَهُم

1 – يراجع، المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبد الله عبد الجبار(التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية: النثر– فن المقالة)، جدة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ، ٢/٩٣– ٩٤.

2 – يراجع، المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبد الله عبد الجبار(التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية: النثر– فن المقالة)، جدة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ، ٢/٩٣– ٩٤.

٣ – يراجع، معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية، ص ١٧،علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربية، ٢٦٥/١، ٢٦٧ عمر الطيب الساسي، الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ص ١٣٥.

بأَوْصَافِهم ولُغاتِهم، كما هُم في واقعِهم، مُتناغِمًا معَ ما عُرِفَ عَنِ الوَاقِعِيَّةِ العربيَّةِ[1].

وخُلَاصَةُ القَولِ أنَّ مَجمُوعَتَهُ القَصَصِيَةَ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" كافيةٌ لتَضَعَهُ في قلبِ صُنّاعِ السّردِ السُّعوديّ، بِوَصْفِهِ أَحَدَ رُوَّادِ كتَّابِ القِصَّةِ القصيرَةِ في السُّعُودِيَّة، حتَّى لُقِّبَ بِـ "رائد القِصَّة الفَنِّيَّة" بلَا مُنازِعٍ، إذْ كشَفَتْ المجموعةُ عنْ موهبتِهِ في تضفيرِ المعَانِي بالألفَاظِ، والمَزجِ بينَ الواقِعِ المعِيشَ والنَّصّ السَّرْدِيّ؛ فاستنطقَ شَخْصِيَّاتِهِ باللَّهجَةِ العامِيَّةِ الدَّارجَةِ حَتَّى جَعلتْهُ أقربَ إلَى المُتلقِّي السُّعودِيّ؛ فَغَدا في صدارَةِ مُبدعِي الفنّ القَصَصِيّ بجَدارةٍ، في ابتِدَاعِ الحَدَثِ، وتَحلِيلِ الشَّخْصِيَّاتِ، و البرَاعةِ في الوَصْفِ، واللُّغَةِ الطَّيّعَةِ؛ فَتتَضَافَرانِ لَدَيهِ لتُشَكِّلَا أَثَرًا فِكْرِيًّا وَوِجْدانيًّا، هُما هَاجسُهُ وشَاغِلُهُ الشَّاغِلُ [٢].

٣/٠- حِكَايَةُ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" :

جَاءَتْ حِكَايَةُ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" : القِصَّةِ مَوضُوعِ الدِّراسَةِ ضِمْنَ الأَعمَالِ الكَامِلَةِ لأَحْمَد السِّبَاعِيّ في الجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْهُ فِي مُقدِّمَةِ مَجمُوعَتِهِ القَصَصِيّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"، وقدْ أَطْلَقَ اسمَ قِصَّتِهِ الأُولَى عَلَى المَجمُوعةِ كلّهَا، وقبْلَ الخَوضِ في دُرُوبها، والاندِماجِ معَ خِطَابِ الحكايَةِ نتعرّفُ عَلَى حِكَايتها[٣].

تَتَكوَّنُ حِكَايَةُ القِصَّةِ القَصِيرَةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" مِن مَجمُوعَةٍ منَ الوقائعِ المُتراكِبَةِ تَبعًا لنِظَامٍ مُحَدَّدٍ؛ تَتَرابَطُ في نسَقٍ واحِدٍ يتمكَّنُ الكَاتِبُ مِن خِلَالِهِ غَزْلِ نَسِيجِ قِصَّتِهِ.

---

١ – يراجع، في الأدب السّعوديّ(دراسات وقراءات نقديَّة)، آمال يوسف، الدمام، مكتبة المتنبي،٢٠١٢م، ص ٢٧٥-٢٧٦.

٢ – أحمد السباعي.. رائد النهضة الأدبية وشيخ المؤرخين السّعوديينَ، (مقالة)، الشريف منجود، المجلة العربية مجلة شهرية، عدد (٥٣٢) يناير ٢٠٢١م- جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ، الأحد ٢٠١٥/٠٦/١٤م، ص ٦٣.

٣ – كتاب الإثنينيَّةِ، الأعمالُ الكاملة للأديبِ الأستاذ أحمد السِّباعيّ، الجزء الأوَّل، خالتي كدرجان، مجموعة قصصية، جدة، نشر كتاب الإثنينيّة عبدالمقصود خوجة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ١/٥.

وتَتَلَخَّصُ الْحِكَايَةُ في قِصَّة "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" في حَيَاةِ عَجُوزٍ مُتَصَابِيَةٍ، كَانَتْ فَتَاةً يافِعَةً جَمِيلَةً ثَرِيَّةً، تَرَبَّتْ تَربِيَةَ عِزٍّ ورَغَدٍ في قَصْرِ وَالِدِها الكَبِيرِ، الذِي آثَرَ أن يبقيها في خدمتِهِ، وضَنَّ بِهَا عَلَى أَنْ يرثَهُ من لَيسَ ، ويَستمتِعُ بِإِرْثِ ابنتِهِ بَعدَ وفاتِهِ؛ ممَّا أدَّى بِهَا إِلَى العُنُوسَةِ التِي عَمْدًا بِحُجَجِ والِدِها الوَاهِيَةِ، وهَكَذَا تَتَفَاقَمُ مشكِلَتُها؛ فَتَتَعَرَّضُ لاستِغْلالِ ابنِ عَمِّهَا الطَّمَّاعِ، وهوَ الوَصِيِّ عَليهَا، وقدِ امتلأَ قلبُهُ جَشَعًا وحِرْصًا عَلَى الاستِحْوَاذِ عَلَى مَالِهَا وَجَمَالِهَا؛ فَرَاحَ يُكْمِلُ سِلْسِلَةَ القُيُودِ التي بدَأَها وَالِدُها؛ فَكَانَ يرُدُّ كلَّ مَن تقدَّمَ لِخِطْبتِهَا، ويَقْطعُ الطَّرِيقَ أَمَامَهُ، ويسُدُّ كُلَّ بابٍ يَأتِي إِلَيهِ طَارقٌ يُرِيدُ الزَّوَاجَ مِنهَا.

وَلَم يَبْنِ السَّارِدُ حكايَتَهُ تصَاعُديًّا؛ أَيْ بِالتَّدرُّجِ بالحِكَايَةِ مِن بِدَايتِهَا نَحوَ نِهَايَتِها؛ فَلَمْ يَبَدَأْ بالمُقَدِّمةِ حتَّى مُنتهاهَا؛ كَمَا هُوَ مُعتَادٌ فِي الطَّرِيقةِ التَّقلِيدِيَّةِ، ولَكِنَّهُ اتَّبَعَ طَرِيقةَ الاسترجَاعِ"الفلاش باك"؛ وهِيَ الطَّرِيقةُ الحَديثةُ التي يَسْتهلُّ قصَّتَهُ فيها بذُروَةِ الحَدَثِ، ومِن ثَمَّ يَعُودُ أَدْراجَهُ إلى الحدَثِ في الماضِي ليَروِيَ بدايةَ الوقَائِعِ باستِخدَام التَّذكُّرِ، وهُوَ ما يعرفُ بالاسترجاعِ، ويكونُ أكثرَ إثَارَةً في بناءِ الحكَايَةِ، كما جَاءَ هَذَا الأُسْلُوبُ مُنَاسِبًا مَعَ الرَّاوي القَاصِّ الَّذِي يُمثِّلُهُ شَخْصِيَّةُ الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ ليتَمَكَّنَ مِن رِوَايةِ الوَقائعِ مِمَّا شَاهَدَهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دائِرَةِ الحَرَجِ التِي كَانَ من المُحتَمَلِ الوُقُوعُ فيهَا لَو كَانَتْ شَخْصِيَّتُهُ هُنا رَجُلًا كَبِيرًا.

وهَكذَا تَمْضِي الحِكَايَةُ... وَبَعدَ مُرُورِ أَعْوامٍ مُتَتَالِيَةٍ تَنفرِجُ لَهَا الأَيَّامُ، وَتَبتَسِمُ لَهَا الحَيَاةُ؛ فَجَاءَ مَنْ يطرقُ بابَها ويَخْطبُها، ثمَّ يذهبُ فلا يَعُودُ، فتظَلُّ في حالةٍ من الانتِظَارِ المُرِيعِ الذي صَاحَبها عَلَى طُولِ الحِكَايَةِ؛ حتَّى صَارَتْ أَحَاديثُ المَجَالِسِ بَينَ النِّسَاءِ يتَندَّرْنَ بها، أَو يَسْخَرْنَ أَحيَانًا، أَو يَتَوَجَّعْنَ أَلَمًا لحَالِهَا في أَحْيانٍ أُخرَى.

وتَظَلُّ في هذَا الانتِظَارِ القَاتِلِ حَتَّى تُصَابَ بلَوْثَةٍ في عَقْلِهَا جرَّاءَ هَذِهِ الأحدَاثِ فينتهِي بها إلى المَوتِ ليسدَلَ السِّتَارُ عَلَى امرأَةٍ، لَهَا هذَا الاسمُ الغَرِيبُ المُثيرُ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" الذي ظَلَّ يُطلَقُ عَلَيهَا دُونَ أَنْ يَعرفَ أَهُوَ اسمٌ أَمْ لقبٌ؟

وحينَ نتوقَّفَ أمامَ ذُروةِ الحِكَايَةِ في القصَّةِ، فإنَّهُ يَجْدُرُ بنَا فِي البدَايةِ أَنْ نقَرِّرَ أن الأعمالَ القَصَصِيّةَ الخَاليةَ منَ العُقدةِ لا تَخلُو مِن خَلَلٍ فنِّيٍّ، ونقصٍ واضِحٍ في

البناءِ القَصَصِيِّ، ولكِنَّ غِيابَها يُقلِّلُ من قِيمَةِ السَّردِ بِوَصفِهِ كيانًا متكامِلًا؛ فإنَّ العُقدَةَ لا تَزالُ منَ الأَدَواتِ الفَاعِلَةِ بقُوَّةٍ في تَشْكيلِ لَحْظَةِ التَّأَزُّمِ دَاخِلَ النَّسيجِ الفنِّيِّ للقِصَّةِ، التي يُتَابعُها القارئُ بشَوقٍ وشَغفٍ مِن أَجلِ الوصُولِ إِلَى حَلٍّ هَذَا الإبهَامِ الذِي يُغلِّفُها، وبهَذَا تتحقَّقُ المتعةُ الفَنِّيَّةُ والذَّوقيَّةُ المرجوَّةِ من متابَعَةِ السّردِ القصَصِيّ.

وَتظلُّ العُقْدَةُ هِيَ المَرحلَةَ الأَكثرَ تَعقيدًا في تَطوُّرِ الأَحدَاثِ، وَهِيَ النُّقْطَةُ المَشْحُونَةُ والفاصِلةُ التي تُوشِكُ عَلَى الانفِجَارِ، فبَعدَ تَوَالِي أَحدَاثِ الحكايَةِ المُتراكِبَةِ تَصِلُ إلى لَحْظَةٍ مُعَقَّدَةٍ، هِيَ النُّقْطَةُ التي يكُونُ فيها التَّحوُّلُ الدِّراميُّ للقِصَّةِ، وتعَدُّ هَذِهِ النُّقْطَةُ هيَ البِدَايةُ التِي تُمَهِّدُ للحَلِّ.

والذُّروةُ لَيْسَ لَهَا مَكَانٌ مُحَدَّدٌ في البنَاءِ القَصَصِيّ فقدْ تكُونُ في وَسَطِهِ؛ كَمَا هيَ عليهِ في قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" أو فِي خاتمتِهِ، كمَا تَجْدرُ الإشارَةُ، هُنَا، إِلَى أَنَّ الفَارِقَ مَا بينَ الحِكَايَةِ القَصَصِيّةِ البَسِيطَةِ، والقِصَّةِ القَصِيرَةِ، أَنَّ البسيطةَ يَكتفِي فيهَا السَّارِدُ بالإِجَابَةِ عَنْ سُؤالِ: "ماذَا بعدَ ذَلِكَ؟ ". ومِمَّا يراهُ النُّقَّادُ والأدباءُ أَنَّ عُقدةَ القِصَّةِ المُتميِّزةِ هِيَ التِي تُجِيبُ عَنْ سُؤالَينِ هُمَا "مَاذَا بَعْدُ، ولمَاذَا؟"[1].

والقِصَّةُ القَصِيرَةُ الجيِّدَةُ هِيَ التِي تلكَ التِي تُجِيبُ عَنِ السُّؤالينِ مَعًا، ويُشترَطُ في العُقْدةِ أَنْ تتَضَمَّنَ صِرَاعًا قَدَرِيًّا، أَوْ نَاتجًا عَن ظُرُوفٍ اجتِمَاعِيَّةٍ أَو صِرَاعًا نَفْسِيًّا؛ كَمَا هُو الحَالُ في قِصَّة "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" التي ظَلَّتْ تُعَانِي مِنَ العُنُوسَةِ التِي تَسَبَّبَ فيهَا وَالدُها، ثمَّ مِن بَعدِهِ ابنُ عَمِّها الوَصِيُّ عليهَا، والطَّامِعُ في مِيرَاثِهَا وأَملَاكِهَا.

وتجيبُ الحِكايَةُ في وَسَطِ القِصَّةِ بأَنَّ الأحداثَ آلتْ إِلَى أَزْمةٍ نَفسِيَّةٍ حادَّةٍ أودَتْ بعَقْلِ " كَدَرْجَانْ"، ثُمَّ أودَى بِحَياتِهَا كُلِّها بعدَ اليأسِ منَ الوصولِ إِلَى نهايةِ هَذِهِ المشكِلَةِ المُتمَثِّلة في العُنُوسَةِ والانتِهَاءِ منْ حَالةِ الانتظارِ الطَّوِيلَةِ التي خيَّمَتْ عَلَى الأَجوَاءِ في حيَاتِهَا كُلِّهَا.

---

١ – يراجع، دراسات في القصة القصيرة، يوسف الشَّارونيّ، دمشق، دار طلاس، دار طلاس للدراسات والنشر، ١٩٨٩م، ص ٤٦–٤٩.

١- سِيمِيَائِيَّةُ الخِطَابِ السَّرْدِيِّ:

١/١- سِيمِيَائِيَّةُ العُنْوَانِ:

العَلَمِيَّةُ في العُنْوَانِ والوظيفةُ الوسميَّةُ(Marque):

ممَّا يلفتُ الانتباهَ أنَّهُ بالرَّغْمِ مِن مُرورِنا بِالمعَاجِمِ القديمةِ والحديثَةِ في تَعريفِ" دَرَجَانِ" فإنَّ هذِهِ المُفردةَ غَريبةَ في دَلالتِها، وقد أحْصَيتُ ورُودَها في لسَانِ العرَبِ فلمْ أجدْها إلَّا مرَّةً واحدَةً؛ يقولُ ابنُ منظورٍ" وَكَبَ: المَوْكِبُ: بابةٌ مِنَ السَّيْر. وَكَبَ وُكُوباً ووَكَباناً: مَشَى فِي دَرَجانٍ، وَهُوَ الوَكَبانُ. تَقُولُ: ظَبْيةٌ وَكُوبٌ، وعَنْزٌ وَكُوبٌ، وَقَدْ وَكَبَت تَكِبُ وُكُوبًا" [١]، وهو ما يُقرِّبُنا ممَّا يصِفهُ رولان بارت "بالوظيفةِ الوَسميّةِ للعُنْوَانِ في تَوجيهِهِ وَظيفةَ العُنْوَان التي يَرى أَنَّها لَمْ تُدرسْ بَعدُ جَيِّدًا،...ومنها وَسْمُ بدايةِ النَّصِّ؛ أي تشكيلَ النَّصِّ بوَصفِهِ سِلْعةً؛ "فلكلِّ عُنْوَان، إذًا؛ عِدَّةُ مَعَانٍ مُتواقتة[٢].

مِن هُنا؛ ارتبَطَتِ المُفرَدَةُ "كَدَرْجَانْ" بأهدافٍ تثقيفيّةٍ (Didactics)، في مِقصِديَّةِ السَّرْدِ والأَهدَافِ المُتَغيَّاة منها؛ فالسَّرْدُ يُحيلُ القارئَ تلقائيًّا إلى مَجمُوعةٍ منَ المَعاييرِ والأَحكَامِ المُسبقةِ التي تُؤطِّرُ لِرُؤيةٍ معينةٍ للسَّرْدِ، ورؤيته في الوَقتِ نَفسِه إلَى العالمِ ولمَنظُومَاتِ القِيم والعَادَاتِ[٣]؛فمُنذُ الوَهلةِ الأُوْلى عندَ قراءَةٍ مُدَقَّقَةٍ لعتبَةِ العُنْوَانِ، ينصرفُ الذِّهْنُ مباشرةً إلى دلالةِ استِخدامِ المُؤلِّفِ لإضافةِ صِفةِ القَرابةِ "خالتِى " إلَى اسم " كَدَرْجَانْ"، ووَاضِحٌ أنّهُ عَلَمٌ للوهلَةِ الأُولَى؛ مِمَّا يَجعلُها أَكثرُ إغراءً بقِراءةِ النّصّ.

ويَرَى محمد سيِّد عبدالعال أَنَّنا-العَربَ- مِن أَبْناءِ الثَّقافَاتِ التي حَفلتْ بالأَسماءِ في العَنَاوِينِ، بِدَايةً مِنَ المفضَّليّاتِ، والأَصْمَعيَّاتِ، وحَمَاسَةِ أَبي تمَّام، مُرُورًا بِسَرْديَّةِ حَيّ بن يَقظانَ، وُصُولًا إلَى حَديثِ عِيسَى بنِ هشام؛" احتِفاءً باسمِ البطَلِ، ثم جاء السَّرْد الحَديثُ ليحتفيَ، أيضًا، بالأَسماءِ في كَثيرٍ من عناوينِهِ،

---

١ – لسان العرب، ابن منظور، ، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)،مادة : (وكب).

٢ – التحليل النصي، رولان بارت، ترجمة وتقديم: عبدالكبير الشرقاوي، دمشق، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٩م، ص٨٢.

٣ – يراجع، النَّص الَّذي وَجَدَ ظِلَّهُ(عَتَبَاتُ النَّصِّ السَّرْدِيِّ الحَدِيثِ)، مُحَمَّد سيّد عليّ عبدالعال، طنطا، مكتبة النابغة، ٢٠٢٢م، ص ١٢٥.

فجاءَ اسمُ " زينب "عُنْوَانًا للرِّوَايةِ الفنِّيَّةِ الأُولى؛ كما يرَى كثيرٌ مِنَ النُّقاد، و"سارةُ" روايةُ العقَّادِ الوَحيدةِ، ومنْ أَهمِّ عَناوينِ رِوَاياتِ المَازِنيّ: إبرَاهِيم الكَاتِب، وإبراهِيم الثَّاني، وَيَلْقانَا بَعدَ ذلكَ مَجْمُوعةٌ كَبيرةٌ منَ الأَسماءِ في العَناوينِ؛ مِثلَ نَاديَة ليُوسُف السِّباعِي التي حقَّقتْ نجَاحًا في جُزئِها الأَوَّلِ؛ فأردفَهُ الثَّانِيَ. وما يزَالُ الكَثيرُ مِنَ المُؤلِّفينَ يُؤثِرُونَ الأَسماءَ"[١].

ويَستطردُ عبدالعالُ فيرى الأمرَ أكثرَ وضُوحًا عندَ المعاصرينَ؛ كرضوى عاشور التي احتفت بأسماءِ بطَلاتِها في عنَاوينِ سَرْدِها؛ مثل: سِرَاج، فَرَج، خَدِيجة وسَوسَن، كَمَا أَنَّ الرِّوَايَةَ الأَشهرَ للرِّوائيَّةِ حنان الشّيخ هي "حكايةُ زهرة"، ورصَدَ لِيُوسُف زيدان رِوَاياتِهِ المُتَتَاليَةِ "عزَازِيل"، "مِحَال"، "ثُور"[٢].

ولكِنّ" كَدَرْجَانْ" تتَّسِمُ بِغُمُوضِهَا اللَّافِتِ؛ فكُلَّمَا تَتبَّعْنَاهُ في المَعاجِمِ لا نَخرجُ عَن مَعنَى المَشْيِ السَّرِيعِ أَو صُعُودِ الدّرَجِ؛ كَمَا يَرَى مُختَار عُمَر" دَرَجَان مَصْدرُ دَرَجَ، دَرَجَ عَلَى، دَرَجَ فِي" [٣]. ويُمْكنُنَا فكَّ الشِّيفرَةِ، والوُصُولُ إِلَى دَلَالَةٍ أَكثَرَ وُضُوحًا بِضَمِّها إِلَى الكُنيَةِ" خالَتِي"؛لأَنَّ" الكُنْيَةَ بِمَنزِلَةِ الاسْمِ"[٤]، ولَكِنَّهَا للتَّبجِيلِ والتّعظيمِ[٥]، وهيَ بالأَبِ والعَمّ والابنِ ونَحْوِهِم؛ فَالكُنيَةُ فهِيَ "عَلَمٌ مُرَكَّبٌ تَركِيبًا إِضَافيًّا، بِشَرْطِ أَنْ يكُونَ صَدرهُ "وهُوَ المُضَافُ" كَلِمَةً منَ الكَلِماتِ الآتيَةِ: "أَبّ، أُمّ"، "اِبْن، بِنْت" "أَخ، أُخْت" "عَمّ، عَمَّة" "خَال، خالَة"[٦].

---

١ – السّابق، ص ٣٥.

٢ – السّابق، ص ٣٦–٣٧.

٣ – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٧٣٥.

٤ – الأصول في النحو، بابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل ت٣١٦هـ)،تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٣م، ٤٠٦/١.

٥ – يراجع، عمدة الكتاب، النَّحَّاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، بيروت، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م، ص ١٤٣.

٦ – النحو الوافي، عباس حسن، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٥م، ٣٠٨/١.

فَوجُودُ الكُنيَةِ في خَالتِي يَجْعلُنَا أَمَامَ احتمالينِ: إمَّا أن تكونَ "دَرْجان" اسمًا أو لَقَبًا؟

مِمَّا يُعْطِيها ميزةً إغرائِيَّةً، والشَّغَفِ لِقِرَاءَةِ النَّصِّ. وَالكُنْيَةُ "خَالتِى" يُشِيرُ، دَلَاليًّا، إلى أكثرَ مِن عَلَامَةٍ، نَسُوقُها فيمَا يأتِي :

أَوَّلًا: في هَذَا العُنْوَانِ تَعْبيرٌ عَنِ التَّقَاليدِ المُنْتَشِرَةِ فِي ثَقَافَةِ الكَثِيرِينَ الذينَ يَميلُونَ إلَى إِطْلَاقِ صِفَةِ الخَالِ أو الخَالةِ، وكذَلِكَ العَمّ أو العَمَّة عَلَى أكبَرِ عَددٍ ممَّنْ يُحيطُونَ بهِمْ مِنَ الأقارِبِ أَوِ الأَصدَقاءِ أو الجِيرَانِ، ولا يُشْتَرَطُ أن يكُونَ هَؤُلَاءِ مِن كِبَارِ السِّنِّ، وفي الكُنيَةِ بـ "الخَالَةِ" إشارَةٌ، أيضًا، إلَى الحَمِيميَّةِ النَّفسيَّةِ والتَّآلفِ الاجتِمَاعِيِّ.

ثَانيًا: صِفَةُ القرابةِ التي سَاقهَا الرَّاوِي في "الخَالَة" بالإضَافَةِ إلى نِسْبَةِ الكُنيَةِ إلى يَاءِ المُتكلِّم إشارةٌ إلى حِكَايةٍ تَرتَبِطُ بِحَياتِهِ مِن بِدَايةِ طُفُولَتِهِ؛ فكَأَنَّنا أَمَامَ سَرديَيْنِ: أحدهما يتَعلَّقُ بِشَخْصِيَّةِ البَطَلَةِ/ كَدْرَجان، وثانيهُمَا يتَعلَّقُ بِشَخْصِيَّةِ الرَّاوي؛ مِمَّا يَجْعَلُنا أَمامَ سردٍ سِيريٍّ مُغرٍ بالمُتَابَعَةِ.

١/٢- سِيميَائِيَّةُ الاستِهلَالِ:

الاستِهلَالُ في السَّرْدِ يُناظِرُ المَطْلَعَ في الشِّعْرِ؛ فهُو الذي يُهَيِّئُنا للتَّلَقِّي مِن أوّلِ وَهْلَةٍ؛ كَمَا رَأَى أَرِسْطُو مِنْ قَبلِ المِيلَادِ[١]؛ لِذَا تَوقَّفَ النُّقَّادُ قديمًا؛ كما رصدَ أحمد عِتمان، أَمَامَ كُلِّ كَلِمَةٍ في البَيتِ الأَوَّلِ مِنَ الأُوديسا[٢]؛ لذَا يَراهُ السِّيميَائيُّونَ نَواةَ النَّصِّ التي يَقُومُ عليها؛ فهيَ النَّواةُ المُهَيمِنَةُ على السَّردِ من بدايتِهِ إلى نِهَايَتِهِ، وهِيَ الحَاضِنةُ لِكُلِّ دَلَالَاتِهِ؛ لِكَونِها تتَّصِلُ بِخُيوطٍ خَفيَّةٍ تَشتَبِكُ بالنَّصِّ كُلِّهِ[٣].

---

١ - يراجع، الشعر الإغريقي، أحمد عتمان، الكويت، عالم المعرفة، عدد١٧ ،١٩٨٤م، ص ٣٣.

٢ - يراجع، الأدب اللاتيني، أحمد عتمان، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٤م، ص ٣٧.

٣ - يراجع، الاستهلال في النص الأدبي، ياسين النصير، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م، ص ٢٣.

يُقَدِّمُ الرَّاوِي فِي استِهلَالِ القِصَّةِ، شَهادَةً صَرِيحَةً وواضِحَةً، فَيَقُولُ مَا مُؤَدَّاهُ فِي مَطْلَعِهَا: إِنَّ هَذِهِ اللَّفظةِ لَيسَتْ اسمًا لهَا بلْ هُوَ مُجرَّدُ لقَبٍ أَطلقَهُ عَلَيهَا المُحِيطُونَ بهَا لِظُرُوفٍ مَرَّتْ بهَا وَضَعَتْها في مَظَلَّةِ هَذَا اللَّقب رَغْمًا عَنها.

ولمْ يُقَدِّمِ الرَّاوي هَذهِ المَلْحُوظَةَ بِصُورَةٍ مَجَانيَّةٍ؛ لأنَّها تتعلَّقُ بالسِّياقِ السَّرْدِيِّ الذى يتبنَّاه الرَّاوي في غزلِ نسيجِ هَذِهِ القِصَّةِ معَ القارئِ، فَهَل أَرَادَ بهَذِهِ المَلحُوظَةِ أنْ يُؤكِّدَ هَذِهِ الصِّفَةَ السَّاخِرَةَ المُجَسَّدَةَ لإِشْكَالِيَّةِ قِصَّتِه "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"، أَمْ أَرَادَ منْ هَذَا العُنْوَانِ لفْتَ الانتِباهِ لتِلْكَ الحَقِيقَةِ؟ أَمْ أَنَّهُ أَرادَ النَّقيضَ مِن ذَلِكَ كلِّهِ؛ بحَيثُ يكُونُ شُغْلُهُ الشَّاغِلُ مِنْ عُنْوَانِ قِصَّتِهِ هوَ أنْ يضَعَ القارئَ في دَائرةٍ مِنَ الحِيرةِ والدَّهشَةِ الدَّافِعَةِ للسَّعْيِ إِلَى تَفسيرِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ؟

وبالنِّسبَةِ لدَلالةِ "كَدَرْجَانْ " فَهِيَ إِنْ كَانَتْ مُجَرَّدَ اسمٍ أو لقَبٍ، يُطلقُ عَلَى سيِّدةٍ مَا مِنَ السَّيدَاتِ، فإنَّ الأَسمَاءَ أو الأَلقابَ لا تُعَلَّلُ، فهَذَا اللَّفظُ الذي يُخبرنا الرَّاوي عنهُ في أوَّلِ سَطْرٍ من القِصَّةِ أنَّه ليسَ اسمَهَا: "لمْ يَكُنِ اسمَها " كَدَرْجَانْ"، ولكنَّه لقبٌ ستَرثِي لَهَا إِذَا عَرفتَ كَيفَ غَلبَ عَليهَا، وأَصْبَحَتْ لَا تُنَادَى إِلَّا بِهِ"[1].

وقَد تَوقفَ غَيرُ وَاحِدٍ في سبيلِ البَحثِ عن كَدَرْجَانْ بِدَايةً مِنَ البَحْثِ عَلَى الشَّبكَةِ العنكبُوتيَّةِ مُتوقِّعِينَ أَنْ يَجِدُوا الإِجَابَةَ بسهولةٍ؛ بِمُجَرَّدِ ضَغْطَةِ زِرٍّ، لكِنْ فُوجِئُوا أنَّ قَولَ لَمْ يَعْرِفْ كَدَرْجَانْ!!، فَرَجعُوا إِلَى مَكْتباتِ الكُتُبِ ينبشُونَ في مَرَاجِعِها، وبَينَ صَفحَاتِ رَسَائِلِ الماجستيرِ التي كُتِبَتْ عَن أَعمالِ السِّبَاعِي فوجدُوا الدَّرجانَ مشيَةَ الشَّيخِ والصَّبي"!!، والكَافُ المُلحَقَةُ للتَّشبيهِ؟!

ولَمْ يُقنِعهُم الاستنتاجُ؛ فَرجَّحُوا أنَّها كلمةٌ شَعبِيَّةٌ، فأخذُوا يسألُونَ الأُمَّهاتِ، ومَن يَعرفُونَ من كبيراتِ السِّنِّ في مَكَّةَ خَاصَّةً؛ لأنَّهَا بِيئَةُ النَّصِّ؛ فلَمْ يَجِدُوا مَنهُنَّ مَنْ تَعرِفُ هذَا الاسمَ"كَدَرْجَانْ"!!

ومِنْهُم مَنْ رَجَّحَ أن يَكُونَ اللَّفظُ لقَبًا أو صِفةً؛ يُطْلقُها المَكيُّونَ لخِفَّةِ ظلِّهم، وثَمَّةَ مَن رَأَى أنَّها رُبَّما تَكُونُ كلمةً شَعبيَّةً اندثرتْ! ومَنهُم مَنْ رَجَّحَ أنْ تَكُونَ

١ - خالتي كدرجان، ص ١٣.

مُجرَّدَ اسمٍ، أَو أَنْ يَكُونَ الرّاوي قَدِ اختَرَعَ هَذَا الاسمَ عَلَى أَوْزانِ مُرجانَ وكَهرمانَ وهَيمانَ[1].

ومن خِلَالِ قرَاءَةِ الاستِهلَالِ يَضَعُنا الرَّاوي أَمَامَ إحسَاسَينِ، أَحدُهُما الإِحسَاسُ بالطَّهَارَةِ والتَّقدِيسِ والتَّعظيمِ الذي تَدُلُّ عَليهِ الكُنيَةُ "خالتى" والثَّاني إحساسٌ بالسّخريةِ المُنبعثَة مِن دَلالَةِ "كَدَرْجَانْ "، وكَأَنَّهُ يَستَعِيدُ الأُصُولَ المُقَدَّسَةَ، والتَّقاليدَ التي تُحَاصِرُ " كَدَرْجَانْ" بطلةِ الحكايَةِ.

وخُلاصَةُ القولِ: يُمكنُ أَنْ يكون الرّاوي قد سَاقَ الاسمَ لِمَا فيهِ منَ الغَرابةِ التي تثيرُ الدَّهشَةَ، وتدفعُ القَارِئَ إِلَى التَّفكِيرِ في دَلَالتِهِ، بالإِضَافَةِ إلى أنَّ هَذِهِ اللَّفظةَ؛ كما اتَّضَحَ مِن خلالِ الاستهلالِ قد تُوحِي بالسُّخريَةِ ممَّنْ يُطلَقُ عَليهِ هذَا اللَّفْظُ المُثيرُ.

وإذا كَانَت قراءةُ العُنْوَانِ سيميائيًّا تُمثِّل الخُطْوَةَ الإجرائيَّةَ الأُولَى، التِي تُقدِّمُ الانطباعَ القَصَصِيّ الأوَّلَ للمُتلَقِّي، بِوَصْفِهِ العَتبةَ الأُولَى فإنّ قِراءةَ الاستِهْلالِ تُمثِّلُ مَدْخَلًا يَنْدَفِعُ بعدَ ذَلِكَ إلى الغَوصِ في أَعْمَاقِ نَصِّ القِصَّةِ وأحداثِها حتَّى نهَايَتِهَا، فإنَّ ما يُصَاحِبُ النَّصَّ منَ الأَفكَارِ والصُّورِ البيانيَّةِ والأَسَاليبِ البَلَاغِيَّةِ، التي تَأتِي في لَوحَةٍ مُتكَامِلةٍ مِن شَأنِها تَقريبُ دَلَالَاتِ النَّصِّ ومَضَامينِهِ المُتنوّعَةِ في البِنَاءِ القَصَصِيّ.

٢- سيميائِيَّةُ الصِّرَاعِ :

يَنْشأُ الصِّرَاعُ بينَ أقطَابٍ مُتَنافرةٍ في السّردِ، وتُشيرُ سيميائيّةُ هذَا الصِّراعِ، سواءٌ أَكَانَ بينَ الشُّخُوصِ التِي بَينَها تَعارَضٌ ما، أَمْ بينَ الشُّخُوصِ وَوَاقِعِهَا المَأزُومِ، وهَذَا الصِّرَاعُ هُوَ الذي يُشعِلُ أَحْدَاثَ السَّرْدِ، ويَمنَحُ القِصَّةَ حَبْكتَها، وشَغَفَ القارِئِ لمُتَابَعتِهَا، وهذَا الصِّرَاعُ هُوَ ما يُحَدِّدُ هدَفَهَا؛ كالغِيرَةِ، أَوِ الحِقْدِ، أَوِ الوَهْمِ، أَوِ الكَراهِيَةِ، أَوِ المُنَافسَةِ، أَوِ الشَّقَاء، أَوِ الإحسَاسِ بالذَّنبِ...إلخ[2].

---

1 – يراجع، البحث عن كَدَرْجَانْ (مقالة)، خلود سفر الحارثي جريدة الجزيرة السعودية، عدد السبت ٢٠ ديسمبر ٢٠١٧م، ص٦.

2 – يراجع، الصوت المنفرد (مقاتلات في القصة القصيرة)، فرانك أوكونور، ترجمة: محمود الربيعي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٩ م، ص ٩٢-٩٣.

وهُو الذي يُميِّزُ كَاتبًا عَن آخَرَ، بَلْ مُجتَمَعًا عَنْ آخَرَ؛ فَصِرَاعُ العنوسَةِ الذي تجَسِّدهُ قِصَّةُ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" هُوَ مِنَ الصِّرَاعَاتِ الخَاصَّةِ بالمُجْتمَعِ السُّعُودِيّ في فَترَةٍ ما نَتِيجةَ الانغِلَاقِ الاجتِمَاعيّ، والأَفْكَار البَالِيةِ، وطَمَعُ الذُّكُورِ في أَموَالِ النِّسَاءِ، وحِرْمَانِها مِنَ التَّعلِيمِ، والحُصُول عَلَى فُرْصَةِ عَمَلٍ(١).

وَقَدْ لا يَنَالُ العَمَلُ القَصَصِيُّ الاهتِمَامَ الكَافِيَ مِنَ المُتلقِّي إذا مَا خَلا مِنَ الصِّرَاعِ، فَالصِّرَاعُ يبدُو في قِصَّة "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" بنَوعَيهِ: الخَارِجِيّ والدَاخِلِيّ:

٢/١- الصِّرَاعُ الخَارِجِيُّ:

يَتَوَلَّدُ الصِّرَاعُ الخَارِجِيُّ مَعَ شَخْصِيَّةٍ أُخْرَى؛ فيتمثَّلُ الصِّرَاعُ، هُنَا بَينَ المَرأَةِ "كَدَرْجَانْ" وبينَ والدِها الذي اتَّخذَ مَوقفًا مُضَادًّا مِنْ زَوَاجِهَا، حَتَّى يُبقِيَهَا في بَيتِهِ لخِدمتهِ، واستمرَّ هَذَا الصِّرَاعُ بين كَدَرْجَانْ وأَبيهَا حتَّى وافتهُ مَنِيَّتُهُ، ثُمَّ يُوَاصِلُ هَذَا الصِّرَاعَ معها ابنُ عمِّها الوَصِيُّ عليها الذي اتَّخذَ مَوقِفَ وَالِدِها السَّابِقِ نَفسِهِ، واشتَعلَ الصِّرَاعُ في هَذِهِ المرَّةِ، وَازْدَادَ؛ لأَنَّ هَذَا الوَصِيَّ كَانَ دَافعُهُ الطَّمَعَ في كَدَرْجَانْ ذاتِهَا؛ فَوقفَ في طَرِيقِ سَعادتِها الذي حَاولتْ مِرارًا الخَلاصَ مِن قيودِهِ.

٢/٢- الصِّرَاعُ الدَّاخِلِيُّ:

يَتَوَلَّدُ الصِّرَاعُ الدَّاخِلِيُّ في داخلِ النّفسِ، قد يولّه الصّراع بينَ الواقعِ الخارجيّ للشّخْصيّةِ وما يَعْتَمِلُ في داخِلَهَا؛ كالشُّعورِ بالقَلقِ والإحباطِ، أو التَّمرُّدِ والفَوضَى، أو التَّفْكِيرِ الخَيَالِيّ (٢)؛ كَمَا فِي قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" فالانتِظَارُ القَاتِلُ الذي طَالَتْ ذيولهُ عَلَى مَدَى عُمْرِها صَارَ يُمثِّلُ لها كَابُوسًا مُظْلِمًا ثَقِيلًا تَودُّ يَومًا أنْ ينتَهِيَ.

---

1 – يراجع، القصة القصيرة في منطقة جازان، دراسة تحليلية نقدية، بتول حسين مباركي، بيروت، الدار العربية للعلوم–ناشرون، ٢٠١٤م، ص ٨٢–٨٣.

2 – يراجع، الأسس النفسية للإبداع الأدبيّ(في القصة القصيرة خاصَّة) ، شاكر عبد الحميد، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب،٢٠٠٧م، ص ٣٩.

ثمَّ تفرَّع هَذَا الصِّرَاعُ الدَاخِلِيُّ بما تُمثِّلُهُ نظراتُ نساءِ الجِيرانِ لهَا؛ فهُوَ، وإِنْ كَانَ صِراعًا مبعثُهُ خَارِجِيٌّ مُتمثِّلٌ في شخوصِ هؤلاءِ النِّسْوةِ وأَحاديثِهِنَّ المُسيئةِ لَها؛ فهُو في الوقتِ نفسهِ، يتسبَّبُ بنوعٍ من الآثارِ النَّفسيَّةِ تُصارعُها في داخِلِها.

٣- سِيميَائِيَّةُ الشَّخْصِيَّاتِ :

تَتمثَّلُ سيميائيَّةُ الشَّخْصِيَّاتِ في السَّرْدِ بأنَّها عَالمٌ مُعقَّدٌ شَديدُ التَّعقيدِ، مُتباينُ التَّنوُّعِ ، تَتَعَدَّدُ بتَعدُّدِ أَهْوَاءِ السَّارِدِ والمَذَاهِبِ الفكريَّةِ، أَوِ الأَيْدِلُوجِيَّاتِ التي تَعْتَنِقُها، أوِ الثَّقَافَاتِ التِي تَنْتَمِي إليهَا، والحَضَارَاتِ المُتَنوِّعَةِ، والهَوَاجِسِ النَّفسِيَّةِ، والبَضَائِعِ البَشَرِيَّةِ التِي لَيسَ لِتَنوُّعها حُدُودٍ [1].

هَذِهِ التَّعَدُّدِيَّةُ التي تأتِي تَبَعًا لِاختِلَافِ المَنظُورَاتِ التي تُرَى بها الشَّخْصِيَّةُ السَّرديَّةُ أكسَبَتْ مَفهُومَها صِفَاتٍ غيرَ قارَّةٍ، وجَعلتْهَا علامةً تَتَأبَّى عَلَى كُلِّ تَحديدٍ، وَلكنّهُ لا يدلُّ، بالقَطْعِ، عَلَى خَلَلٍ أو اضطِرابٍ، أَو إخفَاقٍ، بَلْ يُوسِّعُ دَائرةَ الفَهْمِ لِلشَّخْصِيَّةِ[2]، غير أنّهُ منَ الضَّرُورَيِّ الإشَارَةُ إلى أَمْرينِ مهمّينِ لهما الدَّورُ الكَبِيرُ في أَبْعَادِ تَلَمُّسِ سيميائيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ السَّرديَّةُ، هُما: عَدَمُ التَّفْرِيقِ بينَ الشَّخْصِيّة بِوَصْفِهَا ذاتًا فَرْدِيَّةً أو جَوهرًا سَيكُولُوجِيًّا، والشَّخْصِيَّةِ بِوَصْفِها مُكَوِّنًا سَرديًّا تَخَيُّلِيًّا[3]؛ لذا نَظَرَ بعضُ النُّقَّادِ لِلشَّخْصِيَّةِ القَصَصِيَّةِ بِوَصْفِها انعِكَاسًا لطَبِيعَة المُؤْلِّفِ ومُمَثّلةً لشَخْصيّتِهِ، لا مُجَرَّدَ أَدَاةٍ لِتَوصِيلِ مَعْنَاهُ، وَهُوَ أَمرٌ غَيرُ صَحِيحٍ في دِراسَةِ السَّرْدِ؛ لأَنَّهُ يكتبُهُ السَّارِدُ بأَحْدَاثِهِ وشُخُوصِهِ بناءً فنّيًّا، مُنْعَزِلًا عَن حَيَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ؛ فيجبُ أنْ يُنْظَرَ إليهِ عَلَى قَدرِ ما يَبُثّهُ من دَلالاتٍ وأَفْكَارٍ [4].

---

١ – في نظرية الرِّوَايَة: بحوث في تقنيات السَّرْد، عبدالملك مرتاض، ص ٨٣.

٢ – يُرَاجَعُ، أثر الشَّخْصِيَّة في الرِّوَايَة، فانسون جوف، ت: لحسن أحمامة، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٢م، ص ٨.

3 – يُرَاجَعُ، بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م، ص ٢١٠.

4 – يراجع، مناهج النقد الروائي، وجيه يعقوب السيد، مكتبة آفاق، الكويت، ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٧.

تَناولَتْ هَذِهِ القِصَّةُ شَخْصِيَّاتٍ رَئيسَةً، وأُخرَى ثَانويَّةً، أَمَّا الشَّخْصِيَّاتُ الرَّئيسةُ فَتَتَمَحْوَرُ حَولَ شَخْصِيَّةِ "كَدَرْجَانْ" فَهِيَ تُمَثِّلُ، هُنَا، شَخْصِيَّةَ البَطَلِ، وكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ أنَّ البطَلَ الأَدَبِيّ هُوَ الشَّخْصِيَّة الرَّئِيسَة في القَصِيدَةِ أو القِصَّةِ أو المَسرحيَّةِ التي تَلْعَبُ دَورًا فَاعِلًا في حَدَثٍ مُهمٍّ، أوحِقبَةٍ مُعَيَّنةٍ" (١).

ومَهْما تَعَدَّدتِ الشَّخصِيَّاتُ يَظَلُّ البَطَلُ أكثَرِ العَناصِرِ أَهميَّةٍ في بناءِ القِصَّةِ، والسَّرْدِ عُمُومًا؛ لأنَّ الشَّخْصِيَّةَ البشَريَّةَ المُسَيطِرة على الأَحْدَاثِ هِيَ المَوضوعُ المَركزِيُّ فيها والمُهِمّ مَبدئِيًّا وقبلَ كلِّ شيءٍ؛ حَتَّى في الحِكَايَةِ للفَنِّ (٢).

ومِنْ خِلَالِ أَحْدَاثِ القِصَّة نَجِدُ أنَّها تَدُورُ حَولَ"كَدَرْجَانْ" ومُلتَصِقَةٌ بِهَا، إمَّا عَنْ طَرِيقِ حِوَارٍ مُباشِرٍ، أَو حِوَارٍ عَنْها، أو حَدثٍ، تقُومُ بهِ، أو يَحدُثُ مَعَها " والبطَلُ لهُ أهميَّتُهُ البالغَةُ في أيِّ عَملٍ أدبِيٍّ، فهُوَ يُمثِّلُ الشَّخْصِيَّةَ الرَّئيسَةَ في القِصَّةِ، قويّ الشَّخْصِيَّةِ لهَا حُضُورٌ، ولَهُ أهميَّةٌ بالنِّسبةِ للقَارِئ والكَاتِبِ في آنٍ وَاحدٍ؛ فالكاتبُ يولِي هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ عِنايَةً فائِقَةً، والقَارئُ يَتبَعُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّة "البَطَل" التي استَأثَرتْ بالعَملِ، وكُلَّمَا كَانَتِ الشَّخْصِيَّةُ/البطَلُ قَرِيبَةً مِنَ الوَاقِعِ حَافلةً بعَناصِرِ الإقنَاعِ، مُكتمِلَةً وَأَعمَقَ تَأثيرًا في المَلَامِحِ والسِّماتِ، أصبَحَتْ أكثَرَ جَاذبيَّةً" (٣).

ولَنْ نتوقّفَ أَمامَ سِيمياءِ اسمِ الشَّخْصِيَّة؛ لأنَّنا سَبقَ أنْ تناولناهُ سَابقًا في مَوضِعِهِ؛ فيمكننا أنْ نُعرّجَ على سيمياءِ الوصفِ؛ لأنَّهُ هُوَ الذي يَرسِمُ الشَّخصّيّةَ داخليًّا، وخارجيًّا، ويجمعُ أشتاتَ السَّردِ؛ فالتَّعَاطُفُ يأتِي مِنَ الوَصفِ سلبًا وإيجابًا.

٣/١- سِيميَائِيَّةُ وَصْفِ الشَّخصيَّةِ:

شَخْصِيَّة "كَدَرْجَانْ" لَهَا أَهَمِّيَّتُها التِي لا تَخْفَى عَلَى قارئٍ في بِنَاءِ هَذِهِ القِصَّةِ، ولقدْ تَعَمَّدَ كَسْرَ بِنْيَةِ الوَعْي المُتَصَلِّبِ بإضفَاءِ سِماتِ الرَّفاهِيَةِ والأَناقةِ

١ – يراجع، البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية " عنترة بن شداد نموذجاً"، محمد أبو الفتوح محمد العفيفي، القاهرة، بتراك للطباعة والنشر، ٢٠٠١م، ص ٢–٣.

٢ – يراجع، نظرية الأدب، جميل نصي التكريتي، دار الرشيد للنشر ٢٠١١م، ص ١٢١.

٣ – مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، قطر، سلسلة كتاب الأمة، ١٤١٧هـ، ص ٥١.

عَلَى شَخْصِيَّةِ" كَدَرْجَانْ" فَهِيَ المَرأَةُ الجَمِيلةُ المُتْرَفَةُ التي تُرِيدُ استِعَادَةَ الرَّجُلِ الذي كَانَ يريدُ خِطبَتَها في يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ.

وَنُلاحِظُ مِنْ مُجْمَلِ الأَحْدَاثِ فِي قِصَّة "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" أنَّ شَخْصِيَّةَ كَدَرْجَانْ تتَمتَّعُ بالفاعِلِيَّةِ، والاستِقْلاليَّةِ في الرَّأيِ، وَوجهةِ النَّظَرِ التي كلَّفتْها الكَثيرَ مِن عُمرِهَا، بَلْ عُمْرَها كُلَّهُ، وكذَلِكَ تَتمتَّعُ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ بالنُّموِّ، كَما يُعَدُّ تَجْسيدُ الأَحدَاثِ هِيَ المَسْؤُولَةَ عَن تَكْوِينِهَا.

وَقَد تَوَسَّعَ الرَّاوي في وَصفِ "كَدَرْجَانْ" مِنْ مَظْهرِها الخَارِجِيّ، وَسِمَاتِهَا الشَّخْصِيَّةِ، حَتَّى وَصَلَ إلَى سُلُوكِهَا، وأَحْلَامِها، وأُمْنِيَّاتِهَا، وَهَذَا يتَّضِحُ مِمَّا يأْتِي مِنْ وَصفِهِ: "إنَّها كَانَتْ تَلبسُ الغَتَفَةَ". يتَعَرَّضُ، هُنَا، لِمَظْهَرِهَا فَيُبَيّنُ ماذَا كَانَتْ تلبسُ مِن ثِيَابٍ، ثمَّ يتطرَّقُ إلى اعتِنَائِهَا بِجَمَالِهَا وزِينَتِهَا، ويَصِفُ تَفَاصِيلَهَا الأُنثَوِيَّةَ الدَّقِيقَةَ، وأدَوَاتِ زِينَتِها؛ وبخاصَّةٍ المِكْحَلَةُ لِمَا لهَا مِن رَمْزِيَّةٍ زَمنيَّةٍ مُتَّصِلَةٍ بعَالَمِ النِّسَاءِ آنَئِذٍ "كُنْتُ أُلَاحِظُ أنَّ خَالَتِي كَدَرْجَانْ تُعنى كثيرًا بمِكحَلتِها". ويستطردُ في وصفِها ليُمعنَ في وَصْفِ أُنُوثتِها وجَمَالِها، ومدَى عِنايتِها بكُلّ ذَلكَ في تَلمِيحٍ رمزيّ يليقُ بالوصفِ الفَنِّيّ للجَمَالِ، وإنْ كانَ لا يتَناسبُ مَعَ طَبيعَة الفَنِّ القَصَصِيّ في القِصَّةِ القصيرَةِ: "وَهِيَ تَحتفظُ بجَانبِ المِكْحَلَةِ بِعلبَةٍ صَغيرةٍ، أرَاها كثيرًا ما تمدُّ يدَها إليهَا، لتتَناوَلَ منهَا بأصبِعِهَا شَيئًا تدْعَكُهُ بينَ يَدَيهَا، ثمَّ تُغْشِي بهِ وَجْهَهَا.. "وَكَذَلِكَ اهتِمَامَها بالتِقَاطِ الشَّعرِ الأَبْيَضِ لتبْدُوَ شَابَّةً صَغيرَةً؛ كَمَا في وَصْفِهِ: "ثمَّ تأخذُ بيدِها مقصًّا تمرُّ بهِ عَلَى شَعرِ رأْسِهَا؛ فتلتقطُ بهِ شعرةً مِن هُنا وأُخرَى مِن هُناكَ بَيضَاءَ نَاصِعَةً... "

ثُمَّ يُواصِلُ مَسِيرتَهُ في وَصفِ التَّفاصيلِ الدَّقيقةِ حتَّى يَصِفَ طَرِيقَةَ مِشيَتِها "وَهِيَ تتَهَادَى فِي دَلَالِ الفتاةِ ذاتِ العشرينَ"، وكذَلِكَ طريقةَ تناوُلِها للأَشياءِ"فَهِيَ لا تَتَناوَلُ الأَشيَاءَ إلَّا بأَطرَافِ أَصابِعِهَا".

ومِن بينِ الأَوْصَافِ التي نَعتَها بهَا اهتِمَامُها بالنَّظافَةِ والدِّيكُورِ، وهَذَا وَاضِحٌ من وَصْفِهِ "مَسْكَنهَا عَلَى صِغَرِهِ نَظيفًا بِشَكلٍ يسترعِي الانتبَاهَ، وكَانَتْ مساندُ الكَنبَةِ التي تَستقبلُ عليها ضُيُوفَهَا مُحلَّاةً بالتِّرتِرِ البرَّاقِ..".

٣/٢- سِيمِيَائِيَّةُ راوي الشَّخْصِيَّة:

لم يتوَقَّف الأمرُ عندَ هَذِهِ الأَوصافِ الخارجيَّة المتّصلَة بالثّيابِ وأَدَواتِ الزّينَةِ، بَل إنَّهُ يتمَادَى في الوَصْفِ حتَّى يَنعتَها بالرَّشَاقَةِ إشارةً لطَرَاوةِ الجَسَدِ وامتِشَاقِ القدِّ، واكتِمَالِ علاماتِ الأُنوثَةِ "وَكُنتُ أُلَاحِظُها وَهِيَ مَغمُورةٌ في خِدمَتِها رَشِيقَةٌ... ". وهَذِهِ النُّعُوتُ الخارجيَّةُ لاشكّ منعَكِسَةٌ عَلَى النُّعوتِ الدّاخليَّةِ.

ومن ثمَّ؛ يتعمَّقُ في الأَوصَافِ والنُّعُوتِ الشَّخْصِيَّةِ والسُّلُوكيَّةِ، فيَصِفُها بأَنَّها حانيَةٌ عطُوفَةٌ "وكَانَتْ لفرطِ حُنُوِّها إذَا رأتنِي هارعًا إليهَا وأنَا ألهثُ ظنَّتنِي خَائفًا ممَّن يُطارِدُني..." ويَصِفُها بالسَّذاجَةِ تارةً أُخرَى "وَهِيَ لسَذاجَتِها لا تَدرِي أنَّها طبيعَةُ اللّعبَةِ وأنَّ المَغمُومَ يَجِبُ أنْ يَهتدِيَ إلَى مَخَابِئ المُنْدَسّينَ..."؛ فَهِيَ مُتألِّقَة عَلَى المُستَوى العامّ في نظَرِهِ كصَبِيٍّ صَغيرٍ؛ وهوَ ما أَجْملَهُ وَصَرَّحَ بهِ، وركّزَ على أن تكونَ العينُ عَينَ طفلٍ ليَصْرِفَ النَّظَرَ عَنِ الغَريزةِ النَّوعِيَّةِ: ".. وتَتَألَّق في عَينِي كَطِفلٍ".

أمَّا وَصفُها ونُعوتُها في أَعيُنِ الكِبَارِ مِن نِسَاءِ الحَيّ فَهِيَ في صُورةٌ أُخرى مُناقِضَةٌ لِهَذِهِ النُّعُوتِ الجَمِيلَةِ السَّابقةِ التي لا يَراهَا إلَّا هَذَا الطِّفلُ الصَّغيرُ، وأمَّا الصُّورَةُ الأُخرى التي تبَلْورَتْ في عُيُونِ الأُخرَياتِ "... فكنتُ كلَّما نَقلتُ هَذَا إلَى أمِّي وَهِيَ في مَجمعٍ من جَارَاتهَا لا يَرُوعنِي إلَّا توجُّعُهنَّ لخَالَتِي كَدَرْجَانْ ومَصْمَصَةُ شِفاههِنَّ وهنَّ يردِّدنَ: "مسكينةٌ يا وَلَدِي.. قُول يا لَطِيف.. "

- وأما الشَّخْصِيَّةُ التَّاليةُ في الأهَميَّةِ فَهِيَ شَخْصِيَّةُ الصَّبي القاصّ/ الرّاوي النَّاقلِ للأحداثِ والحِواراتِ، ومِنَ الوَاضِحِ الجليِّ أنَّ القاصَّ تمثَّلَ في هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ ليتَحايلَ عَلّى إشْكاليَّةِ التَّقاليدِ والعَادَاتِ، فاختَارَ تقديمَ نَمُوذَجِ القاصِّ الطِّفلِ، كَي يتحرَّرَ مِنْ مَسؤُوليَّاتِ الكِبَارِ.

٣/٣- سِيمِيَائِيَّةُ الشَّخْصِيَّاتِ الثَّانويَّةِ:

ثَمَّةَ شَخْصِيَّاتٌ ثانويَّةٌ مثلَ وَالِدِ كَدَرْجَانْ الذي تَسَبَّبَ بسُلُوكِهِ الذي قدَّمَ مِنْ خِلَالِهِ مَصلَحَتَهُ الشَّخْصِيَّةَ بَدَلًا مَن تَيسِيرِ الحَالِ في المُوافَقَةِ عَلَى زَوَاجِهَا، ثُمَّ مِنْ بَعدِ مَوتِهِ يُبقِي لهَا ابنَ أَخِيهِ الذي جعلَهُ وَصِيًّا عَليها؛ فَأكملَ سِلسلَةَ القيُودِ عَلَى كَدَرْجَانْ، وينعتهُ عَلَى لسَانِها بالنَّدلِ: "... وأَبحْتَ للنّدلِ ابنِ أَخيكَ أنْ يُقيّدَنِي لمَنفَعَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ...".

وتُمَثِّلُ شَخْصِيَّةُ والدِ كَدَرْجَانْ والوَصِيُّ عَلَيهَا؛ كمَا هوَ واضحٌ منْ أحداثِ القِصَّةِ، شَخْصِيَّتينِ مُعارِضَتينِ تتَّصِفَانِ بالقُوّةِ التي مِن خِلالِها تُحاولُ عَرقَلةَ كَدَرْجَانْ؛ حَتَّى لَا تَصِلَ إلى هَدَفِهَا، وهَذَا بِدَوْرِهِ يَعْمَلُ عَلَى تَنميَةِ الصِّرَاعِ بَينَهُما، ولا شَكَّ أنَّ لِمِثلِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ دَورًا كَبيرًا في تَفَاعُلِ الشَّخْصِيَّات مَعَ بَعضِهَا في الأَحدَاثِ؛ مِمَّا يكُونُ لهُ أثرٌ بالغٌ في تنَاميهَا.

ومِنْ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ، أيضًا، شَخْصِيَّةُ الشّيخَةِ التِي حَضَرَتْ مَعَ الخَاطِبِ وأَهْلِهِ الأَندونِسِيّينَ، وقدَّمَتْ لَهَا النَّصِيحَةَ لكِي تُوافِقَ عَلَى هَذِهِ الخِطْبةِ وتَتَخَلَّصَ مِنْ قُيُودِ ابنِ عمِّهَا الوَصِيّ عَليهَا.

وَهُنَاكَ كذَلِكَ شَخْصِيَّاتٌ هَامِشِيَّةٌ كنِسَاءِ الجِيرَانِ في الزُّقَاقِ اللَّاتِي يتَحدَّثْنَ، وَيَسخَرْنَ مِن"كَدَرْجَانْ"، ودَورُهنّ يتَمَحورُ في رَسْمِ الصُّورَةِ العَكْسِيَّةِ للصُّورَةِ عندَ الطِّفلِ من ناحيَةٍ، والصُّورةِ الأقربِ لِطَبيعَةِ تمثيلةِ شخصيَّةِ العَانِسِ في المُجتَمَعَاتِ العرَبيَّةِ.

٤- سِيميَائِيَّةُ الكُرونتوب:

البِنيَةُ الزّمكانيَّةُ/ الكُرونُوتوب لَهَا سِيميائيّاتُها الوَاضِحَةِ في السَّرْدِ؛ فَهِيَ التي تُحدّدُ مَعالمَ الشّخصِيَّةِ والحدَثِ، وتَرسمُ العوالِمَ الدَّاخليَّةَ والخَارجيَّةَ لهُما، وتُعطِي الانطِبَاعَ وتَصنَعُ الشُّعُورَ الذي يَتغيَّاهُ السَّارِدُ مِن سَرْدِهِ.

٤/١- سِيميَائِيَّةُ المكَانِ:

البِنيَةُ المَكَانيَّةُ هِيَ التِي تتَحَرَّكُ مِنْ خِلَالِهَا الأَحدَاثُ والسَّرْدُ في هَذِهِ القِصَّةِ، فَالأَحْدَاثُ تَجْرِي فِي زِقَاقٍ صَغيرٍ فِي مَنطقَةٍ شَعْبيَّةٍ مِن بَلَدٍ مُقدَّسٍ. وَتَتَمَيَّزُ هَذِهِ المَنطِقَةُ المُقدَّسَةُ بقِيمَةٍ عَظِيمَةٍ؛ فَهِيَ مكَّةُ المُكرَّمةُ، وما أَدرَاكَ ما مكَّةُ ؟! ففيها البيتُ الحَرَامُ، ومَهْبطُ الوَحْي، وَهِيَ أَحَبُّ البلَادِ إلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَلِهَذَا الفَضَاءِ المَكَانِيّ وُجُودٌ وَحُضُورٌ قَوِيٌّ فِي مُعْظَمِ أَعْمالِ السِّبَاعِيّ، وقدْ ذَكَرَ الرَّاوِي العَديدَ مِنَ الأَماكِنِ التِي دَارَتْ فيها الأَحدَاثُ.

ومِنَ الطَّبَعيّ أَنْ يَكُونَ للحَرَمِ المُقَدَّسِ الحُضُورُ الفَاعِلِ في سَيرورَةِ السَّرْدِ، وفَضَاءَاتِهِ في بنيَةِ الحِكَايةِ؛ إذ مكّةُ مسرَحُ الأَحداثِ؛ فهيَ التي يُبنَى عليها؛ لِذَا تظلُّ مَركزَ الإشعَاعِ عَلَيها، وعَامِلَ الجَذْبِ لِمُتَابَعَةِ القِرَاءَةِ؛ فهي تهيّئ القارئَ لخلفيَّةِ الشّخصيَّاتِ، مِن حَيثُ الطَّيِّبةِ والكرَمُ، والاستِضَافَةُ، والتّنوُّعُ؛ كما تكشِفُ

عُمْقَ العَلَاقَةِ بينَ الرّاوي والشّخصيَّاتِ والأحداثِ[1]؛ فَجَاءَتْ مَكَّةُ فَضَاءً مُتوَقّعًا مِن خِلَالِ هَذهِ الخَلفيّاتِ الأبستمولوچيَّةِ والتَّاريخيَّةِ "فَاستَقبلتْهُم فِي لِثَامٍ رَقيقٍ عَلَى عَادَةِ نِسَاءِ مَكَّةَ في استِقبَالِ الحُجَّاجِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِن تَفَاصِيلِ مَكَّةَ بيتَ القَاضِي".

وقدْ تدَرّجَ من الأكبرِ إلى الأصغَرِ؛ فأشار للمدينةِ المُقَدَّسَةِ، ثمّ تطرقَ إلى الشَّوَارِعِ، ومِنَ الشَّوارعِ إلى الزّقاقِ الذي تَعيشُ فيه كَدَرْجَانْ:" كُنَّا يَومذَاكَ صِبيَةً نَلعَبُ الغَمِيمَةَ بينَ ملَاوي زِقاقِنا...".

وَمِمَّا يُثِيرُ الدَّهشَةَ في القِصَّةِ كَثْرَةُ الأَوصَافِ التِي وَسَمَ بهَا المَكَانَ الذِي تَعِيشُ فِيهِ كَدَرْجَانْ لدَرجَةٍ قد تَصِلُ إلَى التَّناقُضِ؛ كمَا ظهَرَ وَاضِحًا، فتارةً يَسِمُهُ قَصْرًا"عاشَتِ الفتَاةُ في بَيتِ أَبيهَا مُنطَوِيَةً عَلَى خِدمَتِهِ، "وكَانَ يسكنُ وإيَّاها في هَذَا القَصْرِ" وَتَارَةً بيتًا كَبِيرًا "وكَانَتْ تَعيشُ وإيَّاهُ في هَذَا البَيتِ الكَبير"، وَيَصِفُهُ أيضًا بالدِّيوَانِ الفَسِيحِ" وَهِيَ تَخطرُ بينَ فُسْحَةِ الدِّيوانِ الذي تَسكُنُهُ..."، وَتَارَةً أُخرَى يَصِفُهُ بالبَيتِ الصَّغيرِ" كَانَ مَسكنُها عَلَى صِغَرِهِ نَظِيفًا بشَكْلٍ يَسْتَرعِي الانتِبَاهَ "؛ وهَكذَا يَجمَعُ منَ البنَاءِ الكُلِّيّ للقِصَّةِ وَصْفًا جليًّا واضِحًا من هَذِهِ الأوصافِ المُختَلِفَةِ، وَقَدْ يتَطَرَّقُ الرَّاوي في الحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ التَّفاصِيلِ، والاستِغرَاقِ في الوَصْفِ لِهَذِهِ الأَمَاكِنِ؛ فيذكُرُ المَطبخَ ومَدخَلَ الدِّيوانِ، ونَصْبةَ الشَّاي "وباب الحنيَّة الصَّغيرَةِ التي جَعَلَتْ منهَا مَطْبَخًا"، ".. الكَنَبَة التِي تَتَصدَّرُ الدِّيوَان.."، "... تَجلِسُ إلى "نصبة" الشَّاي... ".

وَبالرَّغمِ مِن أَسوارِ العُرْفِ العَاليَةِ، وصَرامَةِ التَّقاليدِ الشَّامخَةِ التِي تُحيطُ بالمرأَةِ في السُّعُودِيَّةِ عامَّةً، وفي مكَّةَ المُكرَّمةِ عَلَى وجهِ الخُصُوصِ للدَّرجةِ التِي يُعَدُّ اِسمُها فِي الثَّقافةِ الشَّعبيَّةِ لُغْزًا وَسِرًّا يَنبغِي كِتْمانُهُ؛ فقدِ احتالَ الرَّاوي للولوجِ إلى دَاخلِ تلكَ الأسوَارِ والوصُولِ إلَى أَبعَدَ مِن ذَلِكَ حتَّى يَصِلَ إلَى مَكَانِ إقامَتِها ومَوضِعِ مَجلِسِها حتَّى يرَى مِكحَلَتَهَا، ويُشَاهِدَ مِشْيَتَها ودَلَالَها في سُلوكِها وتَصَرُّفاتِها.

وَليَصِلَ إلَى هَذَا كلِّهِ قامَ بانتحالِ صِفَةِ الطِّفلِ القاصّ/الرّاوي؛ ليَخْرُجَ مِنَ الحَرجِ في وَصْفِ مثلِ هَذِهِ المَوَاقفِ والظُّرُوفِ، وليَتَنَصَّلَ بأَدَبٍ مِن سُؤالِ السَّائِلِ:

---

١ – يراجع، المحكي السَّرديّ وتمثّلات المكان المقدَّس(من الوصفِ ..إلى التَّأويلِ)، مجدي خواجي، طنطا، دار النابغة ،٢٠٢٢م، ص ١٧١.

كيفَ توَصَّلَ السَّارِدُ العَلِيمُ إلَى كُلِّ تلكَ الأَسرَارِ لِهَذِهِ المَرأَةِ الكَدَرْجَانْ في عُقْرِ دَارِها في هذَا المَكَانِ المُقدّسِ المُغْرِقِ في مُحَافَظَتِهِ؟!

٤/٢- سِيميَائِيَّةُ الزَّمَنِ:

مِنَ الوَاضِحِ الجَليّ في قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" أنَّ القاصّ/الرّاويَ قدِ استَعادَ ماضِيَ الشَّخصيَّةِ/ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"؛ وهُوَ ما يَعنِي أنَّ الماضِيَ مازالَ كَامِنًا في نَفسِها، وأنَّ السَّارِدَ متَى مَا أَدْركَ "الحِيلَةَ" في استِحْضَارِ مَاضِيها فإنَّهُ يُعَاشُ ثَانيَةً، كمَا لَو أنَّهُ يَحدُثُ أَمامَها. كَيفَ السَّبِيلُ إلى الوُصُولِ إلَى ماضِي "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"؟ الحلُّ الّذي يقدّمهُ السِّبَاعِي هوَ أنْ يصْطَنِعَ رَاوِيًا عَلِيمًا يَستحضِرُ مَاضِيها، وأنْ يُعيدَ سَردَ اللَّحَظَاتِ النَّاشِزةَ مِنهُ؛ لِتكُونَ النَّتيجَةُ؛ كَمَا يَعتقِدُ، سَرْدًا شَيِّقًا.

فَقَدْ أَسْهَمَتْ بنيةُ الزّمَنِ المَاضِي في أنْ يَستَعِيدَ تفَاصِيلَهُ، وبالفِعلِ قدِ استطاعَ تَحقيقَ البناءِ القَصَصِيّ في أَنْ يُعيدَ اللَّحظَاتِ التي جَرتْ أَحداثُها في المَاضِي البَعيدِ؛ كمَا لو كَانَت تُعاشُ في الحَاضِرِ. وترتَّب عَلَى هَذَا أنّ قِيمَةَ بنيَةِ المَاضِي في هَذِا الاستدعاءِ أنّهُ يُهيّئُ المُعْطَيَاتِ لمَا قد يَحْدثُ في حَاضِرِ الأَحدَاثِ ومُستَقبَلِهَا؛ فَيُسْهِمُ بذَلِكَ في تَحديدِ أَهدَافِ القِصَّةِ وَمَغزَاهَا؛ فَالقِصَّةُ تُوجِدُ إطَارًا مُحَدَّدًا مُنتَظِمًا، يُمسِكُ بعالمٍ يتّسِمُ بالاستِقرَارِ والاطمِئنَانِ؛ فَتُشيَّدُ أَجزَاؤُهُ ويَشُدُّ بَعضُها بَعضًا بِسلْسلةٍ مِنَ العَلاقاتِ المُنتظمَةِ والمترابطَةِ.

٥- سِيميَائِيَّةُ الحَبكَةِ القَصَصِيّةِ:

تكْمُنُ الإشكاليَّةُ في قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" أَسَاسًا في شَخْصِيَّةِ "كَدَرْجَانْ" التي صَارَتْ تَمثِيلًا وَتَجْسيدًا لِصُورَةِ المَرأَةِ العَانِسِ، التي لَمْ تَتَمَكَّنْ مِن نَيلِ الفُرصَةِ لتَكُونَ واهبَةَ الحَيَاةِ بالزَّوَاجِ والإنْجَابِ؛ وهوَ المعنى المتغيَّا الذي يُبرزُهُ الرّاوي وَيُجْمِلُهُ بِدَايَةِ في سَردِهِ، حينَ يَصِفُ فِعلَ أبيها لكي يصرفَ عنها الأزوَاجَ؛ فَلَا تَتَزَوَّجَ حِرْصًا عَلَى ثَرْوتِهِ وإرثِها".. كَانَ يَخترَعُ لِكُلِّ خَطِيبٍ عَيْبًا يَستَنِدُ عَليهِ في الرَّفْضِ حَتَّى استَطَاعَ أنْ يَحْكُمَ عَليهَا لِتَعِيشَ عَانِسًا فِي بيتِهَا".

وقدْ مرَّت" كَدَرْجَانْ" بمَرحَلَةِ صِراعٍ دَاخِلِيّ وخَارِجِيّ، تَضُعُها في دَائرةٍ مَلحميَّةٍ منَ الصِّرَاعِ الأَبديّ حتَّى نَقتَربَ مِنْ حُدُودِ إشكَاليَّتِها التِي تَتَطَلَّبُ مشاركتَها في البحثِ عَنْ حُلُولٍ؛ فَالمُشكلَةُ الاجتماعيَّةُ/ العُنُوسَةُ مُتَنَامِيَةٌ مُمَثَّلَةٌ في مُشكِلَةِ

الخَالَةِ بغَضّ النَّظَرِ عَنِ الأَسبَابِ التي أَوجدتْها، أو فلنَقُلْ إنَّ لِوالدَها نَصِيبًا وَافِرًا فيهَا.

وَظَلَّت "كَدَرْجَانْ" فِي حَالَةٍ مِنَ الانتِظَارِ الدَّائِمِ الذي كَانَ لَهُ الكثيرُ مِنَ الآثارِ عَلَيها مِنَ النَّاحيَةِ النَّفسيَّةِ والسُّلُوكيَّةِ والمَظَاهِرِ الشَّكليَّةِ؛ مِمَّا كَانَ لَهُ مَردُودٌ وَاضِحٌ عَلَى تَصَرُّفَاتِها، وانعكَسَ هَذَا كلُّهُ فِي أَعْيُنِ المُجْتَمَعِ المُحِيطِ بِهَا، المُتَمَثِّلِ في جَمَاعَةِ النِّسْوَةِ مِنَ الجِيرَانِ، ومِنْ شِدَّةِ عَظِيمِ الأَثَرِ أَنِ اتّضَحَ وُضُوحًا لَافِتًا حَتَّى لَاحَظَهُ الأَطْفَالُ؛ كَما أَبرَزَ الرَّاوي/ السَّارِدُ هَذَا المَعنَى.

وكَانَ مِن نَتائِجِ هَذهِ الحَبكَةِ المُطَّردَةِ أنْ تتَحوَّلَ هَذِهِ المُشْكلةُ الاجتِماعيَّةِ في قِصَّةِ "خالَتِى كَدَرْجَانْ" إِلَى أَدَواتٍ فِكْرِيَّةٍ للتَّعْبيرِ عَنْ عَلَاقَاتٍ قَائِمَةٍ، وأَفْكَارٍ مُجرَّدةٍ، يقومُ السِّبَاعِيُّ بِضَبطِها اجتِماعِيًّا مِنْ خِلَالِ سَرْدِهِ الذي تَغَيَّا بهِ الإِصْلَاحَ الاجتِمَاعِيَّ، ومُعَالجَةِ القَضَايَا النّسْوِيَّةِ؛ بوَصْفِهَا أَهمِّ القضَايَا الاجتماعيَّةِ التِي تَعُوقُ المُجْتمَعَاتِ العَرَبيَّةَ آنئِذٍ عنِ النُّهوضِ.

٦- سِيمِيَائِيَّةُ اللُّغَةِ:

بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّرْدَ بِنْيَةٌ بِنَائِيَّةٌ في الأَسَاسِ، يَنْبعِثُ الشَّغَفُ في قَراءَتِها مِن مُتَابَعَةِ الحَبْكَةِ والصِّرَاعِ، وبِنيَةِ الشَّخْصيَّاتِ، والوصفِ، والكُرونوتوب؛ فإنَّ اللُّغَةَ هيَ التِي تَصْنعُ ذلكَ ومن خلالها يتشكَّل النّصُّ؛ لذا تتحوَّلُ سماتُها الجماليَّةُ إلى سماتٍ إشاريَّةٍ، تنتجُ العلاماتِ والمفاهيمَ، وتتجاوزَ الإنتاجَ المتكاملِ إلى تنوّع المضامين عند التّداولِ[1].

وَلَعَلَّ ما يُحاولُ محمد عبدالمطلب أنْ يَصُوغَهُ بطَريقتِهِ هوَ ما أَشارَ إِلَيهِ دي سُوسير حينَ رأَى أنَّ وَظِيفَتَهَا إيجَادُ أَكبرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ مِنَ العَلَاقَاتِ بينَ الأَشياءِ "وفِي غَايَةِ البَسَاطَةِ، يُمْكِنُ تَعْيينُ هَذهِ الإستراتيجيَّةِ؛ بوَصْفِهَا نَقْلًا مِنَ الأشياءِ إِلَى العَلَاقَاتِ؛ فالعَلَاقاتُ هيَ التي تُوجدُ الأَشياءَ وتُحَدِّدُهَا، ولَيسَ العَكْسَ" [2].

---

١ – يُرَاجَعُ، بلاغة السَّردِ النّسويّ، محمد عبدالمطلب، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م، ص ٢٤٦.

٢ – فرديناند دي سوسير(أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، جوناثان كلر، ترجمة: عز الدين إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية،٢٠٠٠م، ص ٢٠٢.

٦/١- سِيمِيَائِيَّةُ اللُّغَةِ الفَصِيحَةِ:

يُمْكِنُنا تَتَبُّعُ السَّارِدِ في لُغَتِهِ للوُقُوفِ عَلَى دَرَجةِ استطاعَتِهِ في أنْ يُوظِّفَ مَهَاراتِهِ اللُّغويّةِ في تحويلِ اللُّغةِ من وَظَائِفِهَا الجَمَاليَّةِ؛ أي الأَدَبِيَّةَ والفَنِّيَّةَ إلَى استِثْمَارِهَا في تَشييدِ صَرْحٍ قَصَصِيٍّ مِنْ خِلَالِ عَلَامَاتِهَا وعَلَاقَاتِهَا؛ فيُمكنُنَا مَثَلًا الوقُوفُ عَلَى وَصفِه للخَالةِ وهيَ تَتَسمّعُ إلى الأَصْوَاتِ البَعيدةِ: ".. وتُصيخُ بِسَمْعِهَا لكُلِّ طَارِقٍ، ولَو عَلَى أَبوابِ جِيرَانِها خَشيَةَ أنْ يَكُونَ قدْ ضَلَّ سَبيلَهُ إلَى بابِهَا.. " فَلَيسَ المَقصُودُ هُنَا هَذَا الوُقُوفَ عَلَى لُغَتِهِ القَوِيَّةِ الرَّصِينَةِ فَحَسْبُ، بَلْ عَلَى هذا التَّكْثيفِ الشَّدِيدِ للمَعَانِي، فَكُلُّ عِبَارةٍ تَخْضَعُ لميزانٍ عادلٍ في غيرِ إفراطٍ، وفِي غَيرِ تَفريطٍ؛ فَالخَالَةُ مازَالتْ تَرتقبُ الخطيبَ الذي رَحَلَ إلَى باكستَانَ، ولَمْ يَعُدْ، وهَاجِسُ عَودَتِهِ مُلِحٌّ عَلَى وَعْيِها، ولَا وَعْيِها، مَهْما مَرَّتِ السُّنُون، ولَكنَّهُ لا يَقُولُ لنَا شَيئًا مِن ذلكَ بطريقةٍ مُباشَرةٍ، ولكِنَّنا نُوجِدُ هَذهِ العَلَاقاتِ مِن خِلَالِ العَلَاماتِ اللّغويَّةِ المُرتبِطَةِ بِبَعضِها في السَّردِ؛ فإرْهَافِ السّمعِ لكُلّ طارقٍ يَطرقُ ولَو عَلَى جِيرَانِهَا تَلمِيحٌ لا تَصرِيحٌ؛ فَمَن هذا الذي ضَلَّ بابَها إلَى بابِهِم؟! إنّهُ هُوَ/ الخَطِيبُ المُسَافِرُ، أو الحَبِيبُ العَائِدُ.

فَهَذهِ العَلَامَاتُ اللُّغَويَّةِ مَعَ كَونِها تُشْعِرُكَ بالفَصَاحَةِ ماثِلةً أَمَامَكَ مِن خِلَالِ استِعْمالِ كَلِماتٍ مثلَ "تُصيخ... خَشيةَ ضَلَّ"، استَطاعَت تَصويرَ مشهدَهَ القَصَصِيّ بوَفرةٍ جَمَالِيَّةٍ مُدهِشَةٍ، واستطاعَت تحقيقَ أَهْدَافِهِ في مِقيَاسِ التَّعبيرِ السّرديّ؛ أي ليسَ عَنْ طَرِيقِ نَسْجِ العَلَاقاتِ البنائيَّةِ، أَوِ الإبَانَة عنِ الفَصَاحَةِ الجماليَّةِ، بَل تَجاوزَتْ ذلكَ إلى الإبانَةِ عَمَّا يَدورُ في مُخيّلتها مِن خلَجاتٍ ومَشاعرَ مَسكُوتٍ عَنها، لايمكنُ البوحُ بها مُبَاشَرةً؛ حتَّى يَصلَ إلَى تَحريرِ الذَّاتِ والمُجْتَمَعِ مِن تسلُّطِ الأفكارِ القديمةِ الباليةِ التي عَفَا عليها الزَّمنُ، واستِمرَارِ سَيطرتِها.

وقد تتغيّرُ لغتهُ أيضًا، وتأخذُ أشكالًا مُختلفةً؛ وذلكَ بأنْ تُصبحَ لُغَةً مَجازيَّةً فيها الإيحاءَاتُ بانسيابٍ يتّفقُ ولُغَةَ القَصِّ:".. وظلَّت فَتاتُنا تَعيشُ عَلَى هَذَا الأملِ سَنواتٍ وَسَنَوَاتٍ تسلَّلتِ الكُهُولةُ أَثْناءَها إلَى مُحيّاها الوَسيمِ، وَظَهَرَتْ آثَارُها فِيمَا تَغَضَّنَ مِن وَجنَتَيها.." فقَليلًا ما نَلقَى كلمةً تُخالِفُ الذَّوقَ أو تعبيرًا شاذًّا، أو فِكرةً مُبهَمةً؛ بسبَبِ عَجزِ اللُّغَةِ السَّرديَّةِ عنِ التَّعبيرِ عنها.

٦/٢- سِيميَائيَّةُ اللُّغَةِ العاميَّةِ:

مِنَ الوَاضِحِ أنَّ الرَّاوِيَ قدِ استَخدَمَ مُسْتَوِيَينِ مِنَ اللُّغَةِ، فَبِالإضَافَةِ إلَى اللُّغَةِ الفَصِيحَةِ الرَّصِينَةِ استَطَاعَ تَوظيفَ اللُّغَةِ العَاميَّة أيضًا. ولا يُمكِنُنَا التَّقليلُ مِنْ شَأنِهَا؛ خُصُوصًا حينَ يَستَطِيعُ إتقانَ توظيفِها في الوقتِ المُناسِبِ؛ فالقاصُّ في ظَنّي يريدُ أنْ يَنْقلَ إلَى قارئِهِ أُسْلُوبَ المرأةِ المكِّيَّةِ العاميَّةِ، وطَرِيقَتِها فِي الكَلَامِ، ومِن مثلِ هَذَا نَجدُهُ في قولِ الشَّيخةِ لكَدَرْجَانْ: "... وَهِيَ تُودِّعُها: "شُوفِي يا بنتِي الوَلدُ بَعدَ الحَجّ يسافر بلده مع أمّه وأُختِه اللّي شفتيهم يأخذ رِضَا أبوه، ويأخُذُ اللي فيه النَّصيب علشان المَهْر واللّي منه ويجيكي راجع.. أبوه يبغاه يدرّس هنا، ويبغاه يكمل دينه ويربط رجله..." فالكلماتُ العاميَّةُ "شوفي، يبغاه، علشان، يجيكي علشان ،اللّي " كلُّها مِنَ الكَلِماتِ العاميَّةِ الشَّائعَةِ الكثيرَةِ الاستِخْدَامِ لدَى النَّاسِ في مكَّةَ لدرَجةِ الابتِذَالِ، وَهِيَ تُوَضِّحُ مدَى البسَاطةِ في الأُسْلُوبِ.

وباستقراءِ قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" يتَّضحُ لَنَا من الألفاظِ والكلماتِ أنَّ السَّاردَ استَعملَ الكثيرَ منَ الكَلِماتِ العَامِيَّةِ التي تَجرِي عَلَى ألسنَةِ النَّاسِ في كُلِّ يَومٍ، كمَا فِي هَذِهِ الكَلِمَاتِ المَنثُورَةِ في نَسيجِ القِصَّةِ: ".. بائع الزِّرنباك، تلبَس "الغتفة"، دَوشة، يطرقع، الغميمة، السجاف، يا واد، تخلَي البُزورة يتلمّوا عليك.. هادول أشقياء وأنت صغير.. " ولاشكّ أنّ أُلفةَ هذهِ الكلماتِ تصنعُ أُلفَةً معَ النّصِّ السّرديّ كلّهِ.

و نلاحظُ أنّ المهارةَ في إدراجِ مثلِ هَذِهِ الكَلِمَاتِ التي تُعَدُّ مُبتَذَلَةً بَينَ طِيَّاتِ الكَلِمَاتِ الفصِيحَةِ جَاءَتْ مُتَناغِمَةً، فيها التَّوَاؤمُ والانسِجَامُ، لا نَلحظُ فيها التَّصادُمَ، أو الخُرُوجَ عنِ الإطَارِ المَرسُومِ، فَنَجِدُها تَتَضَافَرُ جَمِيعًا لبنَاءِ نَسِيجٍ قَصَصِيٍّ في "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" يجسّدُ شَرِيحةً منَ الحيَاةِ الوَاقِعيَّةِ تتَّفِقُ زَمانيًّا ومَكانيًّا مَعَ الحدثِ المحكيّ.

والمُلاحَظُ أنَّ السِّبَاعِيَ لمْ يَكُنْ مِن النَّوْعِ الذي يَجرِي وراءَ الزِّينةِ اللُّغَوِيَّةِ لخَلقِ نَوعٍ منَ الدَّهشَةِ؛ لشَدِّ القارِئِ؛ للاستِمرارِ في قِراءَةِ القِصَّةِ إلَى مُنْتهَاهَا، بلْ لَجَأَ إلَى تَوظيفِ اللُّغَةِ السَّهلةِ المُمتَنِعَةِ، البَعيدَةِ عَنِ المُباشَرةِ التي غَالبًا ما تُسقطُ مُسرفيها في الابتذالِ والنّفورِ من تَداوُلِها، والهُبُوطِ بها.

٦/٣- سِيميَائِيَّةُ اللُّغَةِ الدّينيَّةِ:

تُظهِرُ كَثيرٌ مِنَ الكَلِمَاتِ خَلفيَّةَ الرَّاوي الإسلَاميَّةِ، وَثَقافتَهُ الوَاضِحَةَ، وهُوَ ما يَبدُو مِن ذِكْرِهِ لِحَادِثَةِ الفيلِ المَذكُورةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَهَذَا يَتَّضِحُ مِنْ وَصْفِهِ ادِّعاءِ" كَدَرْجَانْ " بـ: " أنَّها شَافَتِ الفِيلَ في مكَّة".

وَكذَلِكَ اقتبَاسُهُ منَ القُرآنِ الكَرِيمِ؛ كما في وَصْفِهِ حسرتَهَا، وندَمَهَا، وتعَجّبَها من كرّ السِّنِينَ، وفواتِ الفُرَصِ : ".. فَإِذَا قِيلَ لَهَا إنَّ بَينَ هَذِهِ الحَوادَثِ سَنَواتٍ طَوِيلَةً صَكَّتْ وَجْهَهَا.. " فَقُولُهُ: "صَكَّت وَجْهَهَا" مُقْتَبَسٌ مِن قولِ اللهِ تَعالَى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ "[١].

وهذَا التّنَاصّ يَتوَافَقُ وبيئَةَ الأَحدَاثِ القَصَصيّةِ/ مَكّةَ المكرَّمَةَ، كمَا يتّفِقُ وَثقَافَةَ الخَالَةِ.

٧- سِيميَائِيَّةُ الصُّورَةِ :

تُمثِّلُ الصُّورةُ منذُ العُصُورِ القَديمةِ إلَى العُصُورِ الحَديثةِ والمُعَاصِرةِ أَهَمِّ العَلَامَاتِ غَيرِ اللِّسَانيَّةِ، أَو غَيرِ اللُّغَويَّةِ بِدَايَةً مِنَ الرَّمزِ وُصُولًا إلَى الصُّورَةِ الحَقِيقيَّةِ، ومُنْذُ أَصْدرَ رُولَان بَارت كِتَابَهُ فِي ١٩٦٤م"عَنَاصِر السِّيميولُوچيا" الذي طَبَّقَ فيهِ مِنهَاجيَّتَهُ في تَحْليلِ الصُّورةِ سيميولوجيًّا؛ حينَ أَوضحَ أنّ هدفَ السِّيميوطيقَا يَتمثَّلُ في أنَّ كلَّ النُّظُم الرَّمزيَّةِ، مَهْما كانَ مَضْمُونُها، أَو جَوهرُها أو مَهما كانَتِ الإشَاراتُ، والصُّورُ[٢].

وَتَرى جُولي"M. JOLY" الصُّورَةَ هيَ الوَسِيلَةُ التَّعْبيريَّةُ، والاتِّصَاليَّةُ التِي تَربِطُنَا بتقَاليدِنا وَعاداتِنا القديمَةِ، كمَا أنَّها غَنيَّةُ الدّلَالاتِ بثَقَافاتِنا[٣].

وعِندَ الولُوجِ إلَى عَوالِمِ الخَيالِ في قِصَّة "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" نَكتَشِفُ منذُ الوَهلَةِ الأُولَى بأنَّ الرّاويَ قد اختَارَ مِنْهَاجيَّةً رَاقِيةً في تَناولِ أفكَارِ هَذِهِ القِصَّةِ المُتَناغِمةِ

---

١ – سورة الذاريات : من الآية ٢٩.

٢ –يراجع، الصورة الصحفية دراسة سيميولوجية، ساعد ساعد وعبيدة صبطي، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١١م، ص ١٦.

٣ – يراجع، سلطة الصورة، مخلوف حميدة، تونس، دار سحر للنشر،٢٠٠٤م، ص ١٨.

في فَحوَاهَا، وقَدِ اتَّضَحَتِ المَوهبَةُ الفَذَّةُ في استِعمَالِ الأَلوانِ البَيانيَّةِ والأَخيلَةِ في التَّصويرِ الفنِّيِّ.

ومَن هَذِهِ الصُّور وصفِهِ عملَ الخالةِ في بيتِهَا: "..تتَناولُ أَعْمَالهَا في خِدمةِ البَيتِ بأَطْرافِ أصَابعِهَا في رَشَاقَةِ العَرُوسِ..." فيُصوِّرُ الخَالَةَ كَدَرْجَانْ أَثناءَ قيامِها بأيّ عَمَلٍ كتَناوُلِ العَرُوسِ الفتَاةِ المُرفَّهَةِ الأَشياءَ، وهُو معنًى يُمكنُ تَحْديدُهُ في وَصفِهِ:" بأَطْرافِ أصَابِعِها "كنايَةً عَن مدَى الرَّفاهيةِ والرِّقَّةِ والدَّلالِ في آنٍ وَاحِدٍ.

وَمِن هَذِهِ الصُّورِ الصُّورةُ التي تجسّدُ أفكارَها وهواجِسَها تُجاهَ أفكارِ أبيها البالِيّة التي أَوْدَتْ بِها إلَى المَصِيرِ البائسِ في أَنْ تَغدُو عَانسًا : ".. لكَ الرَّحمَةُ يا أبِي فَقدْ قيَّدتَنِي في حَيَاتكَ لأفكارِكَ الخَاصَّةِ.. "فقد اختَصَرَ القضيَّةَ التي تَحملُها هَذِهِ القِصَّةُ في تلكَ الكلماتِ السَّابقَةِ؛ فَنَرَاهُ يُصَوِّرُ تَصَرُّفاتِ والدِ كَدَرْجَانْ بالقيودِ والأغلالِ التي تَحُدُّ من حُرّيتِها في اِختيَارِ الزَّوجِ المُناسِبِ لَهَا باستِعَارَةٍ مَكنيَّةٍ كثّفَتِ الصِّرَاعَ بينَ كلّ الأفْكَارِ المُتناقِضَةِ المُتَصَارِعَةِ التي تُسَيطِرُ عَليهَا.

وَهُوَ ما نَسْتَشعِرُهُ فِي استِعَارَةٍ مَكنيَّةٍ أُخرَى في وَصْفِ سَريَانِ السِّنينِ وتوالي مراحلِ العُمْرِ عَلَيها دُونَ أن تَشعرَ بِهَا: ".. تَسلَّلتِ الكُهُولةُ أَثْنَاءَها إلَى مُحيَّاها الوَسيمِ". فنَرَاهُ يَسْتَعِيرُ صِفَةَ التَّسَلُّلِ الخَاصَّةِ بالإنسَانِ ويُضِفُها إلَى الكُهُولَةِ لِيُجَسِّدَ هَذَا المَعنَى الفريدَ تِبيَانًا للحَالَةِ التي تَعيشُها تلكَ المَرْأَةُ كَدَرْجَانْ التي غَشيَتْها فَهِيَ عَجُوزٌ مُتَصَابيَةً، لا تَشْعرُ بِمُرُورِ السِّنينَ مِن عُمرِها؛ فأَصْبَحَتْ لَا تَرَى هَذَا التَّسَلُّلَ الذِي يُدنِيهَا مِنْ نِهَايَةِ العُمْرِ، وَهِيَ لا تدْرِي!

وَكَمَا تُؤدِّي سِيميائيّةُ الاستِعَاراتِ دَورَها في التَّصْويرِ والتَّكثِيفِ؛ نَجِدُهُ يستثمِرُ طاقاتِ التَّشْبِيهِ وسيميائيّتَهُ في بِنَاءِ هَذَا النَّسِيجِ القَصَصِيِّ الرَّائعِ والرَّائِقِ، وَيتَّضِحُ هَذَا من تَشْبيهه زيارَةَ الشّيخةِ للخَالةِ معَ الخَطيبِ الباكِسْتَانيّ الذي ذَهَبَ، ولمْ يَعُدْ تارةً أُخرَى : "... لقدْ كَانَتْ زيارَتُها بيضَةَ الدِّيكِ لمْ تَتكَرَّرْ بَعْدَهَا... " فَعَلَى وَجهِ التَّحديدِ فالتَّشبيهُ البَليغُ" زيارتُها بَيضَةُ الدّيكِ "؛ إذْ حَذَفَ أدَاةَ التَّشبيهِ وَوَجْهَ الشَّبَهِ للتَّأكيدِ عَلَى المَعنَى المُرَادِ وللدَّلالةِ عَلَى أنَّ زِيارَةَ مَن جَاؤُوا لخِطبَةِ كَدَرْجَانْ، ولَمْ يَعُودُوا فَشَبَّهَهُم بِبَيْضَةِ الدِّيكِ لعَدمِ تَكرَارِ الزِّيارَةِ مَرَّةً أُخْرَى.

ومنْ ثمّ؛ يُمْكِنُنَا القَولُ: إنَّ ما تَنَاولْنَاهُ مُجرَّدَ أمثلَةٍ قليلَةٍ منَ الأمثلةِ التي لَا حَصْرَ للصُّورِ الخَيَاليَّةِ الواردَةِ فِي قِصَّة "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"؛ ولكِنَّنَا نَخْلُصُ إلَى القَولِ بأَنَّ السَّارِدَ اعتمَدَ عَلَى أناقةِ جُملهِ النَّثريَّةِ التي استَثمَرَها أيَّما استِثْمارٍ في نَسجِ أفكارِهِ القصَصيَّةِ، هَذَا بالإضَافةِ إلى مَهارتِهِ الفَنِّيَّةِ في الصِّياغَةِ المُعْجمِيَّةِ، في لُغَةٍ عَاليَةِ المُستوَى استطَاعَ أنْ يُسَخِّرُها للنُّهُوضِ بالمَعَانِي، وَيَرسُمُ بالصُّوَرِ الخَيَاليَّةِ نَسيجًا قَصَصِيًّا يُكثِّفُ رُؤيَتَهُ وعايَتَهُ السَّرْدِيَّةَ.

ومنَ اللَّافتِ هنَا أنَّ السَّارِدَ لمْ يتَكَلَّفْ في رسمِ تلكَ الصُّوَرِ الخَياليَّةِ والبَيانِيَّةِ، ومِن الجلِيِّ أنَّهَا جاءَتْ بِصُورَةٍ طَبيعِيَّةٍ، تَنْسَابُ في الإطَارِ العَامِ لسِياقِ القِصَّةِ؛ فلمْ يكُنِ الهدفُ الأَساسُ منها نثرَ ألوانٍ منَ الزِّينةِ أَو الزَّخرفةِ اللَّفْظِيَّةِ للنَّصِّ القَصَصِيِّ.

وَمِنَ المُلَاحَظِ، أيضًا، أنَّهُ لا يستَهدِفُ الإكثَارَ مِنْ جَمَالِيّاتِ النَّصِّ في المقامِ الأَوَّلِ، بلْ يَسُوقُ هَذهِ الصُّورَ الجَمَالِيّةَ والبيانيَّةَ مِنْ أَجْلِ غَايةِ إتمامِ البِنَاءِ القَصَصِيّ ليَبدُوَ مُتكَامِلًا، ويتَمتَّعُ بالإبداَعِ الفنِّيّ في الصِّياغَةِ الأَدَبِيّةِ في نَسِيجِ القِصَّةِ.

٧- سِيميَائِيَّةُ الأُسْلُوبِ :

تَرتَبِطُ سِيميَائِيَّةُ الأُسْلُوبِ بِمَرْجِعِيَّةِ الشِّيفْرَةِ المُسْتَخْدَمَةِ في القصِّ؛ لِذَا فَمِنَ الضَّرُورِيِّ في كُلِّ نَصٍّ أنْ نتَأَمَّلَ ظَوَاهِرَهُ الأُسلُوبِيَّةَ؛ كالتَّكْرَارِ والاستِشهَادَاتِ والاستفهاماتِ والأوامرِ والنَّوَاهِي، التي هِيَ المَخزُونُ الثَّقَافِيُّ الجمعِيُّ الذي يَشِي بالتَّحويلَاتِ والتّغييراتِ، وكيفَ غدَتْ هذِهِ الثَّقافَةُ سِمَاتٍ فَردِيَّةً؛ فالأسلوبُ، في الأَسَاسِ عَلَامَةٌ تكشِفُ اللّثامَ عَمَّنْ يَستَخدِمُونَها ومدَى عَلَاقاتِهِم بالنّسقيّ والجَمْعيّ، وهوَ مَا سَعَى إليهِ چيرار چينيت بِتَوجّههِ للتَّأسيسِ لمفهُومٍ سيميائيٍّ لِعَلاقَةِ الأُسْلُوبِ بسَائرِ عَنَاصِرِ الخِطَابِ، وبخاصَّةِ الدَّلالةُ، وذلكَ لِغياب التَّحديدِ المُقنعِ لوجُودِ مَفهومٍ للأُسلُوبِ وَمَجالَاتِهِ. وَچينيت فِي هذا الجُهدِ يَعُودُ بالأُسلُوبِ لِلإمكاناتِ المُشتَركَةِ للُّغَةِ، بإمكاناتِها المُتاحَةِ وَالمُحتَمَلَةِ لكُلّ مُسْتَعْمِليهَا،؛ وهَذَا ما يُؤطّرُ نَظريَّةَ الأُسلُوبِ، بعيدًا عنِ الاستِخدَامِ الفَردِيّ المُميّزِ؛ كما رَآهُ سبيتزر؛ فَليستْ نَظَرِيَّةُ الأسلوبِ؛ كما يَرَى چيرار چينيت هىَ نَفْسَهَا الأُسلُوبِيَّةَ، وليسَتِ الأسلوبِيَّةَ الأدبيَّةَ خَاصَّةً؛ لأنَّ ما يُميّزُ الأسلوبَ حَقيقةً هوَ وظيفَةُ العَلَامَةِ اللُّغويَّةِ

التَّعبيريَّةِ expressive ، مِمَّا يَشِي بِعَدَمِ كفايةِ اللِّسَانيَّاتِ، والدَّلَاليَّة خاصَّةً، بِمُعاينَةِ دَلالَةِ الأُسلُوبِ ووظَائِفِهِ؛ وهُوَ ما دَفَعَ بحقيقَةِ الأُسلُوبِ إلَى حقُولِ السِّيميائيَّاتِ؛ فَغدَتِ ظَواهرُهُ الأُسلُوبيَّةِ بتَعبِيرَاتِهِ وتَمثُّلَاتِه من خصائصِهِ الفَردِيَّةِ وانتماءَاتِهِ الاجتِمَاعِيَّةِ وَمَلَامِحِهِ الثَّقافيَّةِ عَناصرَ سِيميَائِيَّةً نسقيَّةً دالَّةً، يصبحُ التَّفكيرُ فِيهَا بمَنْظُورٍ أكثرَ سَعَةً مِنَ السِّيميائيَّاتِ اللُّغَويَّةِ التِي جاهدَ چيرار چينيت مِن خِلَالهَا[1].

والقارِئُ لقِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" يَستَنطِقُ أَفكَارَها فيمَا وَراءَ السُّطورِ، والخَفِيّ في دَقائِقِ الكَلِمَاتِ يَجدُ أنَّ الرّاوِيَ استَخدَمَ ألوانًا متعدِّدَةً منَ الأَسَاليبِ لِجَذْبِ القَارِئِ، ولَفْتِ انتِبَاهِهِ لِمَضمُونِ القصّةِ ومَغزَاها وَغَايَتِها.

من هَذِهِ الأساليب مايأتي :

٧/١- سِيمِيَائِيَّةُ الأُسْلُوبِ التَّهكُّمِيّ:

اِستَخدَمَ السّاردُ الأُسلُوبَ السَّاخِرَ في بَعضِ مشَاهِدِهِ السَّرْدِيَّةِ؛ وَهُوَ ما يَبْدُو وَاضِحًا مِن وَصفِهِ كَدَرْجَانْ بِعَدَمِ المُبالَاةِ في مَعرفَةِ عَدَدِ السِّنينَ، ومَا مَرَّ مِن عُمْرِهَا:"... إنَّ حِسَابَ السَّنواتِ في نَظرِها دَوشَة..."، ومِمَّا يؤَكّدُ هَذَا المَعنَى السَّابقَ وَصفُهُ في مَوضِعٍ آخَرَ: "... إنّها في نَظَر نَفسِها لمْ تتَجَاوَزِ الثَّلاثينَ إلَّا مِن سَنَواتٍ نَسِيَتْ عَدَدَهَا...".

وَنَجِدُ ذَلِكَ، أَيضًا، في وَصْفِهِ إيَّاها بالجَهلِ بطَرِيقَةِ المُبَالغَةِ في نَقِيضِ الوَصْفِ حتَّى يَفهَمَ القارئُ المُرادَ: "...إنَّها تَذكُرُ أنَّها تَعْرِفُ سَنَةَ السَّيلِ الكَبيرِ وَهِيَ صَغيرةٌ، وأنَّها شَافتِ الفيلَ في مكَّةَ وَهِيَ صَغيرةٌ.." دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ مَعرفتِها بِشَيءٍ مِمَّا ذُكِرَ، كَما يَدُلُّ الوَصفُ مِن جِهَةٍ أُخْرى عَلَى قِلَّةِ التَّمييزِ بينَ الصَّوابِ والخَطأَ مِنَ المَعارفِ أو المَعلُوماتِ.

ومِنْ هَذِهِ الأَسَاليبِ التَّهَكُّميَّةِ وَصفُهُ غِيَابَ مَنْ تَقَدَّمَ لِلزَّوَاجِ مِنْ كَدَرْجَانْ وذِهَابِهِ وعدَمِ عَودَتِهِ : "... لقد كَانَتْ زِيارَتُها بَيضَةَ الدِّيكِ لمْ تتَكَرّرْ بَعْدَهَا... "

---

١ – يراجع، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، عبدالواحد المرابط، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،٢٠٠٠م، ص ١١٣.

فَوَصَفَ هَذِهِ الفُرْصَةَ التي جَادَ بِها الزَّمانُ عليهَا بِبَيضَةِ الدِّيكِ الذي لا يَبيضُّ في الأَساسِ مِن بَابِ التَّهكُّمِ والسُّخريَةِ مِنْ مَجْرَى الأَحدَاثِ التي دائمًا ما تقِفُ حَجَرَ عَثْرةٍ في طَرِيقِ سَعادةِ كَدَرْجَانْ.

وَاستخدَمَ أُسْلُوبَ إثارةِ الدّهشَةِ، أيضًا، لدَى القارئِ بتوظيفِ المُفَارَقَاتِ التي تبعثُ عَلَى الحيرةِ والدَّهشَةِ، وتَدفعُ القارِئَ إلى مُشَارَكتِهِ في التَّفكيرِ والبَحثِ عَنِ الحُلُولِ، وَوَضعِ التَّصوُّراتِ للرَّبطِ بينَ الأحداثِ والوَقائعِ، وهُوَ مَا يتَّضح من هذا المُونُولوُج ".. .أنَّهُ كَانَ يعنيني مِن أمرِ خَالَتِي كَدَرْجَانْ شَيءٌ؛ كَمَا يَعنيني أنْ أُوفِّقَ بينَ هَذِهِ الحَيَاةِ النَّاعِمَةِ الرَّشيقَةِ التي كَانَتْ تَحيَاها خَالَتِي كَدَرْجَانْ، وتَتَأَلَّقُ في عَينِي كَطِفلٍ، وبَينَ هَذَا التَّوجُّعِ الذي أُلاحِظُهُ عَلَى أمِّي وجَارَاتِهَا كُلَّمَا مَرَّ بينَهُنَّ ذِكْرَاهَا." بغرضِ الرَّبْطِ بينَ مُشَاهَدَاتِهِ في الماَضِي عِندَما كَانَ طِفلًا لَا يَستَطِيعُ أنْ يتَبيَّنَ الأَسبابَ التي تَقِفُ وَرَاءَ الظَّاهِرِ مِنَ الأَحدَاثِ.

٢/٧- الأُسْلُوبُ وسِيميَائِيَّةُ الأهواءِ:

تَسعَى سِيميَائِيَّة الأهواءِ إلَى دِرَاسَةِ انفعالاتِ الجسَدِ، وحالاتِ الشّخصِيَّةِ النّفسيَّةِ، والوُقُوفِ عَلَى اشتغالاتِ المَعنَى دَاخِلَ النّصِّ مِن خِلَالِ تَركيزِنَا عَلَى المُكوّنين: التّوتُّري والعَاطِفِيّ أو الانفِعَاليّ؛ وهو ما يَتولَّدُ عَبرهُما ما نسمّيه كَينُونَةَ المَعنَى، وإدراكِ العاطفةِ؛ فالدّلالّةُ في النّهايّةِ تشَكّلُ أبعادًا عاطفيّةً وجدانيَّةً تُحدّدُ معالمَ الشّخصيّةِ، وسِماتِها الدّاخليّةِ[1].

يَجِدُ القارئُ كَذَلِكَ، التَّنوُّعَ في الأُسْلُوبِ مِن خِلَالِ السَّردِ القَصَصِيّ فِي هَذِهِ القِصَّةِ، فلمْ يتَوقَّفِ السَّارِدُ عندَ نَمَطٍ وَاحِدٍ، ولمْ يَسِرْ عَلَى وَتيرةٍ وَاحدَةٍ، بلْ نوَّعَ في الأساليبِ المعنَويَّةِ التي تَمَسُّ النَّفسَ الإنسَانِيَّةَ، وتلمَّسَ المَشَاعِرَ مِن خِلَالِ الدَّفعِ بلَونٍ جديدٍ مِنَ الأَساليبِ.

وكَمَا هُوَ وَاضِحٌ منَ القِصَّةِ أنَّهُ يَستخدِمُ الأَساليبَ الرّومانسِيَّةِ التي تُلهِبُ المَشَاعِرَ، وَتصنَعُ نَوعًا مِنَ الإثارَةِ والتَّغييرِ مِنْ مَجْرَى السَّردِ الرَّاكِدِ، ويبدُو هَذَا وَاضِحًا من وَصْفِهِ: "...شَعرتُ أنَّ عينَ الشَّابِّ تُسَارِقُهَا النَّظَرَ فِي لَهْفةٍ؛ فلم تُعلِّقْ كثيرًا عَلَى هَذَا؛ رَغْم أنَّها أَنِسَتِ ارتيَاحًا، واستَطَاعَتْ أنْ تُغَافِلَهُ لتنَامَ عِدَّةَ ثَوانٍ

١ – يراجع، سيمياء الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النّفسِ، ألجيراداس.ج غريماس، جاك فونتفي، ترجمة وتعليق: سعيد بنكراد، بيروت، دار الكتاب الجديد ٢٠١٠ م، ص٣٠.

بينَ أهدَابِهِ.." فقد عبّرت هذه الحركةُ الجسميَّةُ عمّا استكنّ في صدرها من حبّ للخطيبِ، ولم تبُحْ بهِ.

ولم يتوقَّفِ الأمْرُ عند ذَلِكَ بل نوَّع في الأساليبِ اللُّغَوِيَّة واللَّفظيَّةِ التي مِن شأنِهَا إثارةَ المَشَاعِر، ومِنْ هَذِهِ الأَساليبِ أُسْلُوب الاستِفْهامِ؛ كما في هذَا المُونُولوجِ : "... وحَاوَلتْ أنْ تَعرِفَ رأيَ "الشَّيخَةِ" فيمَا سبَّبَ هَذَا الغِيابَ ولَكِنْ أينَ هيَ "الشَّيخَةُ"؟ وهو ما يَكْشِفُ عَن حَالَاتِ الحُزْنِ واليَأسِ والاكتِئَابِ التِي سَيطَرتْ عَلَيهَا.

وهوَ ما نَسْتَشعِرُهُ في أُسْلُوبِ التَّعَجُّبِ؛ كَمَا فِي قولهَا الصَّامتِ، وَهِيَ تُمَنّي نَفْسَهَا بالزَّوجِ الذي طالَ انتِظارُهُ :"..ما أَحلَى أنْ أَجِدَ إنسَانًا يملَأُ فرَاغَ بيتِي بَعدَ طُولِ هَذِهِ السِّنين!! "، وكذَلِكَ في وَصفهِ مشَاعِرَها وَتَعَجُّبَها مِنَ الشَّيخةِ التي أَحضرَت مَنْ يتَقدَّمَ لخِطْبَتِها : ".. ما أعَظمَ "ستِّي الشَّيخَة وما أَعظَمَ أَفْكَارَهَا !! "

وكمَا لاحظْنَا تنوّعَ في إبْرَزِ أهْوَائِها بين الأسلوبِ الإنشائيّ، والأُسْلُوبِ الخَبَرِيّ الذي يُوحِي ببثِّ المَعانِي المُؤكَّدةِ في نفسِ القارئِ وَعقلِهِ، كما في وَصْفِهِ جمالَهَا الفائضَ : "... شبَّتْ خَالَتِي "كَدَرْجَانْ" في كَنَفِ وَالدِها هَيفاءَ في جَمَالٍ مُفْرِطٍ... "، وكذَلِكَ في وصفِهِ حيَاتَهَا في بيتِها الفَخْمِ : "... وكَانَتْ تَعِيشُ وإيَّاهُ في هَذَا البيتِ الكَبيرِ وَحدَهُما." وفي هَذَا إيحَاءَاتٍ لا شُعوريَّةٍ لدى القارئ بِصدقِ أحداثِ هَذِهِ القِصَّةِ التي بينَ يديهِ ووقائِعِها ، حَتَّى يَصِلَ الأمرُ في نفسِهِ إلى حدِّ التَّساؤُلِ: أتُرى قِصَّةُ كَدَرْجَانْ هَذِهِ حقيقيَّةً أم هيَ مِن نَسْجِ خَيالِ الكاتبِ أحمَد السِّبَاعِيّ؟ ولا سيَّما أنَّ هَذِهِ القِصَّةَ لهَا الكثيرُ مِمَّا يُشَابِهُها في الوَاقِعِ.

٣/٧- نَقْدُ الأُسْلُوبِ وهنَاتِهِ:

مِمَّا يُؤخَذُ عَلَى أسلُوبِ الكاتبِ في هَذِهِ القِصَّةِ أَنَّهُ قدْ وقعَ في التَّكرارِ لبَعضِ الأَوصَافِ؛ كَمَا فِي وَصفِهِ البَيتَ الذي تَعِيشُ فيهِ كَدَرْجَانُ "وكُنتُ أُلَاحِظُهَا وَهِيَ مَغمُورَةٌ في خِدمَتِها رَشيقَةٌ أكثرَ ممَّا تَعَوَّدتُ في بَيتِنا، وفِي جميعِ بُيوتِ الجِيرانِ حَولنَا، فَهِيَ لا تتَناولُ الأَشياءَ إلَّا بأطرافِ أَصَابعِهَا" وقد سبقَ أنْ وصفَهُ قبل ذَلِكَ الوَصْفِ مُباشَرَةً: "كَانَتْ تَخْدمُ بَيتَهَا وَهِيَ فِي أَحْلَى زِينَتِهَا تَلْبسُ الكَرتةَ مِن قُماشٍ رَقِيقٍ شَفَّافٍ... "

ووقَعَ هَذَا التَّكرارُ، كذَلِكَ، في وَصْفِ نِسَاءِ الجِيرانِ لِيُبيِّنَ مَوقِفَهُنَّ مِنْ كَدَرْجَانْ فيَصِفُهُ في مَوضِعٍ آخَرَ "فَكُنتُ كُلَّما نقَلْتُ هَذَا إلَى أُمِّي وَهِيَ فِي مَجَمعٍ مِن جَارَاتهَا لَا يَرُوعُنِي إلَّا تَوجُّعُهُنَّ لخَالَتِي كَدَرْجَانْ وَمصْمَصَةِ شِفاهِهِنَّ وهنَّ يُردِّدْنَ: "مِسكينَةٌ يَا وَلَدي.. قول يا لَطيف".

وقَد تَكَرَّرَ هَذَا الوَصفُ نَفسُهُ، ولَكِنْ بأَلْفَاظٍ أُخْرَى قَبلَ هَذَا المَوضِعِ بقَلِيلٍ: "فَكُنْتُ أَتَحَدَّثُ إلَى أُمِّي فِي بَعْضِ الأُمْسيَاتِ التي تَجْتَمعُ فيها معَ الجَارَاتِ، فكُنَّ يتَضَاحَكْنَ وَيَتغَامَزْنَ، وربَّما تأوَّهتْ إحْدَاهُنَّ في مَرَارةٍ وقالتْ إنَّها مِسكينَةٌ؛ فَيُمَصْمِصْنَ شِفاهَهُنَّ وَيُبادِلْنَها القَولَ إنَّها مِسكينَةٌ".

ومِنْ أَمثلَةِ هذا التَّكْرارِ الذي يُخَالِفُ طَبيعَةَ القِصَّةِ أيضًا الذي وَقعَ مِنَ الكاتِبِ "وَهِيَ لهَذَا دَائمَةُ الزِّينةِ تَتنَاولُ أَعمَالَها في خِدمةِ البَيتِ بأَطْرَافِ أَصَابِعِهَا فِي رَشَاقَةِ العَرُوسِ المَجلُوَّةِ مِن لَيلتِها." وعَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ "خِدمةِ البَيتِ بأَطْرَافِ أَصَابِعِهَا" وَقَد ذَكَرَ الوَصفَ نَفسَهُ مِن قبلِ ذَلِكَ بِمَوضِعٍ يَسِيرٍ "... فَهِيَ لا تتَنَاوَلُ الأشياءَ إلَّا بأَطْرافِ أَصَابعِهَا"، وهَذَا كُلُّهُ وفي مُجْملِهِ نَأخذُهُ عَلَى أَحْمد السَّبَاعِي، وذَلِكَ لأنَّ التَّكرارَ عادةً ما يُصيبُ القَارِئَ أو المُتلقِّي بالمَلَلِ أو الشُّعُورِ بِالانحِسَارِ في مَعانٍ، أو أَوْصافٍ أَو مَجمُوعَةٍ مِنَ الأَلفَاظِ والكَلِمَاتِ التي تُعيدُ نَفسَها أَمَامَ بَصرِهِ أو عَلَى سَمعِهِ دُونَ وُجُودِ دَاعٍ لهَذَا التَّكْرارِ، فَيَشعُرُ القارئُ بِعَدمِ جَدوَى؛ مثلَ هَذِهِ العِباراتِ والأَساليبِ المُتكرِّرةِ، وإنْ كَانَ هَذَا لا يُقلِّلُ مِن إبداعِ الكاتبِ وبَراعَتِهِ، كَما أنَّ هَذَا لا يَنَالُ مِن قيمةِ هَذَا العَملِ الأَدَبِيّ الرَّائعِ.

٨- سِيميَائِيَّةُ النِّهَايَةِ:

انتهَتْ هَذِهِ القِصَّةُ بتَحوُّلِ تلكَ المَرأةِ "كَدَرْجَانْ" إلَى مَوضُوعٍ مَطروحٍ للنَّميمةِ بينَ جَارَاتِهَا مِنَ النِّسَاءِ وسَوالفِهِنَّ؛ وهَذَا لأنَّها تَحوَّلَتْ في آخِرِ عُمْرِها إلَى امرأَةٍ عَجُوزٍ ولكنَّها في الوقتِ نَفسِهِ مُتَصَابيَةٌ في نَظَرِ بَعضِ النِّسَاءِ، ولأنَّها كذَلِكَ فَقدْ أَصبَحَتْ مَادَّةً للرِّثاءِ عندَ نِسَاءٍ أُخْرَيَاتٍ، أَو أنَّها مَدْعاةٌ للسُّخْريةِ عِندَ فِئَةٍ أُخْرَى مِنهُنَّ.

وهَذِهِ النِّهايةُ تُوحِي بأنَّ المَاضِي ما هُو إلَّا مَجمُوعَةٌ مُتراكِمَةٌ مِنَ الأَحدَاثِ التي تركَتْ مِنْ ورَائِها ذُيُولًا مِنَ الآثارِ النَّفسيَّةِ والاجتِماعيَّةِ، ومِن فَحوَاها يَتَّضِحُ أنَّ

المَاضِي عَبارةٌ عَنْ حَالَاتٍ مُستقلَّةٍ يُمكنُ أنْ تُوضَعَ بِجَانِبِ بَعضِها، وأَنَّ الأَحدَاثَ التي جَرَتْ في الماضِي يُمكنُ رَسمُها وتَدوينُها بالكتَابَة ليتأَمَّلُها القارئُ الَّذي يكُونُ عندهُ الرَّغبَةُ مُستَقبَلًا في أنْ يجِدَ في المَاضِي العِبرةَ والعِظَةَ التي تُعِينُهُ عَلَى تَلَاشِي تَلكَ المُشْكِلَاتِ في الزَّمَنِ الآتِي في آفَاقِ المُستقبَلِ القَرِيبِ أَوِ البَعِيدِ.

ويُصَرَّحُ الكَاتبُ بالنِّهَايَةِ المَأْساوِيَّةِ للمَرْأَةِ كَدَرْجَانْ بِردِّ العَجُزِ عَلَى الصَّدرِ بتَعبيرِ البَدِيعِيِّينَ فِي بِدَايَاتِ هَذِهِ القِصَّةِ"... ثُمَّ بَلَغَنِي أَنَّها أُصِيبَتْ فِي بَعْضِ أَيَّامِهَا بلَوثَةٍ في عَقلِهَا فَانتقلَتْ إلَى بيتِ بَعضِ قَريبَاتِهَا؛ وأَنَّها ما لبِثَتْ أَنْ تُوفِّيَتْ بِمَرضِها. "وهَذِهِ حقًّا نِهَايَةٌ مُؤسِفَةٌ حَزينةٌ تُبيِّنُ مَدَى جُرمِ مَنْ يَتسَبَّبُونَ في وُقُوعِ مِثلِ هَذِهِ المُشكِلَاتِ الاجتِمَاعِيَّةِ، والتِي فِي مُقَدّمتِها مُشْكِلَةِ "العَنُوسَةِ" التي لَهَا مَا لَهَا مِن عَظِيمِ الأَثَرِ السَّيءِ عَلَى جَمِيعِ الأَصْعَدَةِ، والنَّواحِي النَّفسِيَّةِ التي قَدْ تُدَمِّرُ العَقلَ، أَو قدْ تُصيبُهُ في الصَّمِيمِ؛ حتَّى لا يَبقَى مِنهُ شَيءٌ.

لَيسَ هَذَا فَحَسبُ، بل يُدمّر حَياةَ مَن يُصيبُهُ؛ كَمَا كَانَتْ هَذِهِ النِّهايَةُ لكَدَرْجَانْ التي يَنسدلُ السِّتارُ عَلَى قِصَّتِها بِلَونٍ مِنَ السَّوادِ الذي يُسَطِّرُ نِهَايَةَ مُشكلَةٍ اجتِماعيَّةٍ ومُعضِلَةٍ منَ المُعضِلَاتِ التي أَصَابَتِ الكَثيرَ مِنَ البُيُوتِ، وهَذِهِ النِّهايَةُ نِهَايَةٌ صَارِخَةٌ بأَعلَى صَوتٍ، يُدوّي في الأَرجَاءِ؛ كَي يَستَمِعَ إِليهِ مَن لَهُ عَقلٌ وقلبٌ ليضَعَ حَدًّا لِهَذِهِ المُشكِلَةِ أَو يَطرَحَ حلًّا لَهَا.

تتمَّةٌ :

بعدَ هَذِهِ الجولاتِ التَّحليليَّةِ والنَّقديَّةِ خِلَالَ قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" للكَاتبِ أحمد السِّبَاعِيّ، التي تصدَّرتْ مَجموعتهُ القَصَصِيّةَ، التي أطلقَ عليها الاسمُ نفسُهُ، نَخلصُ إلى نتائجَ مدهشةٍ لِمَا لمَسنَاهُ مِن إحكامِ الحَبكةِ القَصَصِيَّةِ، بالإضَافةِ إلى رَوعةِ الفكرَةِ،وجمالِ العبارةِ، وقوَّةِ الألفاظِ، وَحُسْنِ توظيفِ الكلماتِ العاميَّةِ منهَا؛ فأخذَتْ مكَانَها الذي أَضْفَى عليها جَمالًا غيرَ مُعتادٍ بالرَّغمِ من كَوْنِها مُبتذلَةً، تلوكُها الألسنةُ في كلِّ حينٍ.

اعتَمَدَ السِّبَاعِيُّ عَلَى أناقةِ جملهِ النثريَّةِ التي استثمرَها أيَّما استثمارٍ في نَسجِ أفكارِهِ القصصِيَّةِ، بالإضَافَةِ إلى مهَارَتِهِ الفَنِّيَّةِ في الصِّياغَةِ المُعْجميَّةِ، مِن خِلَالِ لُغةٍ عَاليةٍ المُستوَى، استطاعَ أنْ يُسخِّرُها للنُّهوضِ بالمعَانِي، ويرسمُ بالصُّورِ الخياليَّةِ أجملَ نسيجٍ قَصَصِيّ لقاصٍّ مبدعٍ.

وموضوعُ هَذِهِ القِصَّةِ الذي يُصوّر جُرحًا اجتماعيًّا مَا زالَ ينزفُ، وكما كَانَت هَذِهِ النّهاية لِـ" كَدَرْجَانْ" التي ينسدلُ السِّتارُ عَلَى قِصَّتِهَا بلَونٍ مِنَ السَّوادِ الذي يُسَطّرُ مُشْكلةً اجتِماعيَّةً، ومُعضِلَةً مِنَ المُعضِلاتِ التي أصابَتِ الكَثيرَ مِنَ البُيوتِ، وهَذَا يَتَطلَّبُ مِنَ الجَميعِ أنْ يُبادِرُوا إلَى العَملِ عَلَى وَقْفِ هَذَا النّزيفِ بوضْعِ الحلولِ المناسِبةِ

وفي خُلاصَةِ الكَلَامِ يُمكِنُنَا القَولُ : بأنَّ أحمد السِّبَاعِي قدِ استطاعَ أنْ يوظِّفَ مهاراتِهِ الأَدَبِيّةَ والفَنِّيَّةَ، واستثمارها في تشييدِ صَرحٍ قَصَصِيٍّ بعنايةٍ فائقةٍ، ليسَ هَذَا فحسبُ، بل بلُغةٍ قَويَّةٍ رَصينةٍ، وتكثيفٍ شديدٍ للمَعانِي.

وكَمَا هُو معتادٌ ومعلومٌ من خلالِ الدّراساتِ النقديَّةِ والتَّحليليَّةِ أنَّها لا تخلُو من مآخذٍ عَلَى الكاتبِ أو عَلَى العملِ الأَدَبِيّ؛ كَما وقعَ في هَذِهِ الدِّراسَةِ، ولكِنْ يُمْكِنُ القولُ بأنَّ هَذَا لا يُقَلِّلُ مِن إبداعِ الكاتبِ وبراعتهِ، كما أنَّهُ لا يَنالُ مِن قيمةِ هَذَا العملِ الأَدَبِيِّ.

الخَاتِمَةُ

حَاوَلْتُ فِي هَذَا البَحْثِ مِن خِلَالِ الدَّرْسِ السِّيميَائِيّ دِرَاسَةَ القِصَّةِ القَصِيرَةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" لِلأَدِيبِ السُّعُودِيّ أَحمَد السِّبَاعِيّ(١٩٠٥-١٩٨٤م) دَاخِلِيًّا وخَارِجِيًّا؛ لِأَكْشِفَ الجَوانبَ الفَنِّيَّةَ من نَاحِيَةٍ؛ ورَغبةً في الوصُولِ إِلَى مُستَوياتٍ منَ التَّأْوِيلِ منحَتنا عَلاماتِها، لِتَفسِيرِ أَسْبَابِ شُهْرَةِ هذِهِ القِصَّةِ، وللمَكَانَةِ البَارزَةِ التي احتَلَّتْها في جِيلِ الرُّوَّادِ خاصَّةً، وبَيَانِ أسبابِ إسهامِهَا في تَطْوِيرِ القِصَّةِ القَصِيرَةِ السُّعُودِيَّةِ، وملامستِهَا لهمومِ المُجْتَمَعِ آنَئِذٍ.وكانت غايتي، أيضًا. المُقَارَنَةَ والمُوازَنَةَ لبيَانِ مَدى مَا وَصَلَتْ المَرْأَةُ السُّعُودِيَّةُ إِليهِ الآنَ مِنْ حُقُوقِهَا.

وَكَانَ مِن أَهَمّ نَتائِجِ دِرَاسَتِي سِيميَائِيَّةَ الخِطَابِ السَّرْدِيِّ:

١- للإبدالِ أو الإخبارِ بالعَلَمِيَّةِ في العُنْوَانِ "دَرْجَانْ"- وَظِيفَةٌ وسميَّةٌ فَوجُودُ الكُنيَةِ في خَالتِي جَعلَنَا أَمَامَ احتمالينِ: إمَّا أن تكونَ "دَرْجان" اسمًا أو لَقَبًا؛ مِمَّا أَعْطَاها ميزةً إغرائِيَّةً، وشَغَفًا لِقِرَاءَةِ النَّصِّ. وأَشارَتِ الكُنْيَةُ "خَالتِي" لأكثرَ مِن عَلَامَةٍ.

٢- أدّى الاستِهلَالُ في القِصَّةِ تَهيئَةً للمُتَلَقّي مِن أوّلِ جُملَةٍ؛ فكانتْ نَواتَهُ التي هَيمَنَتْ علَى القِصَّةِ مِن بِدَايَتِهِ حَتّى نِهَايَتِهِ، وهي الحَاضنةُ لِكُلّ دَلَالَاتِهِ؛ لِاتِّصَالِها بِخُيوطٍ خَفيَّةٍ تَشتَبكُ بالنَّصِّ كُلِّهِ، كما جاءَ بمثَابَةِ شَهادَةٍ صَرِيحَةٍ وواضِحَةٍ.

٣- نَشَأَ الصِّرَاعُ: الخَارِجِيُّ والدَّاخِلِيُّ بينَ أقطَابٍ مُتَنافِرةٍ في السَّردِ، وأَشَارتْ سيميائيّةُ هذَا الصِّراعِ بينَ الشُّخُوصِ إِلَى تَعَارُضِهَا، وَوَاقِعِهَا المَأْزُومِ، وهُوَ الذي أَشْعَلَ أَحْدَاثَ القِصَّةِ ومنَحَهَا حَبْكتَها، وأَثارَ شَغَفَ القارئِ لمُتَابَعتِهَا، وهُوَ ما حَدَّدَ هدَفَهَا؛ وهو قضيَّةُ العنوسَةِ الذي تجَسِّدهُ قِصَّةُ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"؛ بوصفهِ منَ الصّرَاعَاتِ الخاصَّةِ بالمُجتَمَعِ السُّعُودِيّ في فَترةِ الانغِلَاقِ الاجتِمَاعِيّ، وأَطمَاعِ الذُّكُورِ في أَموَالِ النِّسَاءِ.

٤- تَمَثَّلَتْ سِيميائِيَّةُ الشَّخْصِيَّاتِ في القِصّةِ بفضْحِ عَالمٍ نسائيٍّ مُعقَّدٍ شَديدِ التَّعقيدِ، مُتباينِ التَّنوُّعِ، تَتَعَدَّدُ بتَعَدُّدِ أَهْوَاءِ السَّارِدِ والمَذَاهِبِ الفكريَّةِ، أَوِ الأَيْدِلُوجِيَّاتِ التي تَعتنقُها، أوِ الثَّقَافَاتِ التِي تَنْتَمِي إليهَا.

٥- كشفتْ سِيميَائِيَّةُ وَصْفِ شَخْصِيَّةِ "كَدَرْجَانْ" تَعَمُّدَ كَسْرِ بِنْيَةِ الوَعْيِ المُتَصَلِّبِ بإِضفَاءِ سِماتِ الرَّفاهِيَةِ والأَناقةِ عَلَى شَخْصِيَّةِ" كَدَرْجَانْ" المَرأةِ الجَمِيلةِ المُتْرَفَةِ التي تُرِيدُ استِعَادَةَ الرَّجُلِ الذي كَانَ يريدُ خِطبَتَها في يَومٍ مِنَ الأيَّامِ.

٦- لم تتوَقَّفِ الأَوصَافُ عَلَى مَلَامِحِها الخَارِجِيَّةِ؛ كالثِّيابِ والزِّينَةِ، والرَّشَاقَةِ، وطَرَاوةِ الجَسَدِ، وامتِشَاقِ القدِّ، واكتِمَالِ الأُنوثَةِ، بل انعَكِسَت عَلَى مَلَامِحِها الدّاخليَّةِ.

٧- كان للشَّخْصِيَّاتِ الثَّانويَّةِ دورٌ واضحٌ في نموّ الصّراعِ والتّشويقِ وإبرازِ قضيّةِ السّاردِ؛كوَالِدِ كَدَرْجَانْ الذي تَسَبَّبَ بسُلُوكِهِ الذي قدَّمَ مِنْ خِلَالِهِ مَصلَحَتَهُ الشَّخْصِيَّةَ بَدَلًا مَن تَيسِيرِ الحَالِ في المُوافَقَةِ عَلَى زَوَاجِهَا، ثُمَّ مِنْ بَعدِ مَوتِهِ يُبقِي لهَا ابنَ أَخِيهِ الذِي جعلَهُ وَصِيًّا عَليها، وجَاراتِها بألسنتهنّ الحِدَادِ ،والشّيخةِ، والخَطيبِ المُغادرِ، والطّفلِ المحبّ الرّاوي.

٨- كانَ للبِنيَةِ الزَّمكانيَّةِ/ الكُرونُوتوب سِيميائيّاتُها الوَاضِحَةِ في القصَّةِ؛ فَهِيَ التي حدّدَت مَعالمَ الشّخصِيَّاتِ والأحدَاثِ، ورسمتِ العوالِمَ الدَّاخليَّةَ والخَارجيَّةَ، وأعطتِ الانطِبَاعَ، وصنَعَتِ الشُّعُورَ الذي تغيَّاهُ السَّارِدُ؛ فَالأَحْدَاثُ تَجْرِي فِي زِقَاقٍ صَغيرٍ فِي مَنطقَةٍ شَعْبيَّةٍ مِن بَلَدٍ مُقدَّسٍ، واسترجعَ السّاردُ ماضِي "خَالَتِي كَدَرْجَانْ"؟ ليقدّمَهُ مصْطَنِعًا رَاوِيًا عَلِيمًا، يُعيدَ سَردَ اللَّحَظَاتِ النَّاشِزَةَ؛ لِتكُونَ النَّتيجَةُ سَرْدًا شَيِّقًا.

٩- تَشِي سِيميَائِيَّةُ الحَبكَةِ القَصَصِيّةِ بِإشكاليَّةِ قِصَّةِ "خَالَتِي كَدَرْجَانْ" التي صَارَتْ تَمثِيلًا وَتَجْسيدًا لِصُورَةِ المَرأَةِ العَانِسِ، التي لَمْ تَتَمَكَّنْ مِن نَيلِ الفُرصَةِ لتَكُونَ واهبَةَ الحَيَاةِ بالزَّوَاجِ والإنْجَابِ؛ وهوَ المعنى المتغيَّا الذي يُبرِزُهُ الرّاوي.

١٠- استَخدَمَ السّاردُ مُسْتَوَيَينِ مِنَ اللُّغَةِ، فَبِالإضَافَةِ إِلَى اللُّغَةِ الفَصِيحَةِ الرَّصِينَةِ استَطَاعَ تَوظيفَ اللُّغَةِ العَاميَّة. وقد أشارتْ سِيميَائِيَّةُ اللُّغَةِ الفَصِيحَةِ إلى دَرَجةِ استطاعَتِهِ في توظيفِ مَهَارَاتِهِ اللُّغويّةِ في تحويلِ وَظَائِفِهَا الجَمَاليَّةِ، واستِثْمَارِهَا في تَشييدِ صَرْحٍ قَصَصِيٍّ مِنْ خِلَالِ عَلَامَاتِهَا وعَلَاقَاتِهَا بتطويعِها، كما كان لإتقانِهِ تَوظيفِ العاميَّةِ في الوَقتِ المُناسِبِ أنْ يَنْقلَنَا إِلَى أُسْلُوبَ المرأةِ المكِّيَّةِ العاميَّةِ، وطَرِيقَتِها فِي الكَلَامِ لفضْحِ البِنيَةِ الثّقافيَّةِ،كما أظهرتْ التّأثُّرِ بالنُّصُوصِ الدّينيّةِ خَلفيَّةَ الرَّاوي الإسلَاميَّةِ، وَثَقَافتَهُ الوَاضِحَةَ.

١١- في تَتَبُّعي سِيميَائيَّةَ الصُّورَةِ انتهيتُ إلى أنَّهُ لا يستَهدِفُ الإكثَارَ مِنْ جَمَالِيّاتِ النَّصِّ، بلْ يَسُوقُ الصُّورَ لِإتمامِ البِنَاءِ القَصَصِيّ ليَبدُوَ مُتكَامِلًا.

١٢- تَنوَّعَتْ الأَسَاليبُ في لُغةِ القصّةِ؛ فقدِ اِستَخدَمَ السَّارِدُ الأُسلُوبَ السَّاخِرَ، وتنوّع بينَ الخبر والإنشاءِ لسيطرَةِ النّزعةِ الرّومانسيَّةِ عَليهِ في بَعضِ مشَاهِدِهِ السَّرْدِيَّةِ؛ وهُوَ ما اقتضَى دِرَاسَةَ سِيميَائيَّةَ الأَهْواءِ من خلالِ انفعالاتِ الجسَدِ، وحالاتِ الشّخصِيَّةِ النّفسيَّةِ، والوُقُوفِ عَلَى اشتغالاتِ المَعنَى دَاخِلَ النّصِّ مِن خِلَالِ تَركيزِنَا عَلَى المُكوّنينِ: التّوتُّري والانفِعَاليّ مع سيطرةِ الاتّجاهِ الواقعيّ على السّاردِ وسَردِهِ؛ لذا لم يفتِ الباحثَ التَّوقُّفَ لنَقْدِ الأُسْلُوبِ وهنَاتِهِ، وما وقعَ فيه من التّكرارِ الذي يخلّ بشُروطِ القصَّة القصيرةِ من حيثُ التّكثيفُ والتّركيزُ.

أهمُّ المصادرِ والمَراجِعِ

- أولًا المَصَادِرُ:

- كتاب الإثنينيّة عبدالمقصود خوجة، الأعمالُ الكاملة للأديبِ الأستاذ أحمد السِّباعيّ، الجزء الأوَّل، خالتي كدرجان، مجموعة قصصيَّة، جدة، نشر الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

- الكتاب العربيّ السُّعوديّ رقم ١٨ ، خالتي كدرجان ، أحمد السباعي ، تهامة ، ط٢، ١٤٠١هـ /١٩٨٠م.

- ثانيًا: المَراجع:

- أحمد السِّباعِيّ أديبًا، سعيد علي الجعيديّ، رسالة ماجستير، السعودية، كلية اللُّغة العربيّة بمكة المكرمة، ١٩٩٩م.

- أحمد السِّباعيّ.. رائد النهضة الأدبية وشيخ المؤرخين السّعوديينَ، (مقالة)، الشريف منجود، المجلة العربية مجلة شهرية، عدد (٥٣٢) يناير ٢٠٢١م- جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ، الأحد ٢٠١٥/٠٦/١٤م.

- أثر الشَّخْصِيَّة في الرِّوَايَة، فانسون جوف، ت: لحسن أحمامة، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٢م.

- الأدب اللاتيني، أحمد عتمان، القاهرة، دار المعارف،١٩٩٤م.

- الأدب النِّسائيّ السُّعوديّ(نظرات في الرؤيا والتَّشكيل)، فوزية محمد بريون، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٩م.

- الاستهلال في النص الأدبي، ياسين النصير، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٨م.

- الأسس النفسية للإبداع الأدبيّ(في القصة القصيرة خاصَّة) ، شاكر عبد الحميد، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب،٢٠٠٧م.

- الأصول في النحو، بابن السَّرَّاج (أبو بكر محمد بن السّريّ بن سهل ت٣١٦هـ)،تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، بيروت، مؤسَّسة الرِّسالة، ٢٠٠٣م.

- البحث عن كَدَرْجَانْ (مقالة)، خلود سفر الحارثيّ جريدة الجزيرة السُّعوديَّة، عدد السبت ٢٠ ديسمبر ٢٠١٧م.

– البطولة بين الشِّعر الغنائيّ والسِّيرة الشَّعبيَّة "عنترة بن شدَّاد نموذجاً"، محمد أبو الفتوح محمد العفيفي، القاهرة، بتراك للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.
– بلاغة السَّردِ النّسويّ، محمد عبدالمطّلب، القاهرة، الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة،٢٠٠٧م.
– بنية الشَّكل الرِّوائيّ، حسن بحراوي، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.
– تجربة فكريَّة، (مقالة)علي الشّدويّ، موقع (ثقافات)، ١٨ مايو ٢٠١٤م.
– التحليل النّصِّيّ، رولان بارت، ترجمة وتقديم: عبدالكبير الشَّرقاوي، دمشق، دار التكوين للتأليف والتَّرجمة والنَّشر، ٢٠٠٩م .
– دراسات في القصَّة السُّعوديَّة والخليج العربيّ، محمود رداوي، الجمعية العربية السُّعوديَّة للثَّقافة والفنون، الرّياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
– دراسات في القِصَّة القصيرة، يوسُف الشَّارونيّ، دمشق، دار طلاس، دار طلاس للدراسات والنشر، ١٩٨٩م.
– سلطة الصورة، مخلوف حميدة، تونس، دار سحر للنشر،٢٠٠٤م.
– سيمياء الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النّفسِ، ألجيراداس.ج غريماس،جاك فونتفي، ترجمة وتعليق: سعيد بنكراد، بيروت، دار الكتاب الجديد ٢٠١٠ م.
– السّيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، عبدالواحد المرابط، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،٢٠٠٠م.
– الشعر الإغريقي، أحمد عتمان، الكويت، عالم المعرفة، عدد١٧ ،١٩٨٤م.
– الصوت المنفرد(مقاتلات في القصة القصيرة، فرانك أوكونور، ترجمة: محمود الربيعي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،٢٠٠٩م.
– الصورة الصحفية دراسة سيميولوجية، ساعد ساعد وعبيدة صبطي، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١١م.
– عمدة الكتاب، النَّحَّاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، بيروت، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

– فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، جوناثان كلر، ترجمة: عز الدين إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٠م.
– في الأدب السّعوديّ(دراسات وقراءات نقديَّة)، آمال يوسف، الدمام، مكتبة المتنبي،٢٠١٢م.
– في نظرية الرِّوَايَة: بحوث في تقنيات السَّرْد، عبدالملك مرتاض، الكويت، عالم المعرفة.
– قاموس الأدب والأدباء في المملة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٣م.
– القصة القصيرة(تاريخًا، ونظريّة، وإبداعًا)، الطاهر أحمد مكي، السعودية، مكتبة المتنبي، الطبعة الحادية عشرة،٢٠١١م.
– القصة القصيرة في منطقة جازان، دراسة تحليلية نقدية، بتول حسين مباركي، بيروت، الدار العربية للعلوم–ناشرون، ٢٠١٤م.
– لسان العرب، ابن منظور، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)
– المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبد الله عبد الجبار (التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية: النثر– فن المقالة)، جدة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ.
– المحكي السَّرديّ وتمثّلات المكان المقدَّس(من الوصفِ ..إلى التَّأويلِ)، مجدي خواجي، طنطا، دار النابغة ،٢٠٢٢م.
– مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، قطر، سلسلة كتاب الأمة، ١٤١٧هـ.
– معجم الكتاب والمؤلفين في المملكة العربية السعودية،١٧،علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات العربيّة، ١/٢٦٥، ٢٦٧ –
– معجم اللّغة العَربيَّة المعاصرة، أحمد مختار عمر، بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
– مناهج النَّقد الرّوائيّ، وجيه يعقوب السَّيِّد، مكتبة آفاق، الكويت، ط١، ٢٠١٣م.

– الموجز في تاريخ الأدب العربيّ السُّعوديّ، عمر الطَّيّب السَّاسي، الرّياض، مكتبة دار زهران، ١٩٩٥ م.
– النَّحو الوافي، عباس حسن، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٥م.
– النَّصّ الَّذي وَجَدَ ظِلَّهُ(عَتَبَاتُ النَّصِّ السَّرْدِيِّ الحَدِيثِ)، مُحَمَّد سيّد عليّ عبدالعال، طنطا، مكتبة النابغة، ٢٠٢٢م.
– نظرية الأدب، جميل نصي التكريتي، بغداد، دار الرشيد للنشر، ٢٠١١م.
– النَّظريّة السّيميائيَّة(مسار التّوليدِ الدَّلالِيّ)، أ.ج جريماس، ج. كورتيس، ف. راستيي، د.باط، ترجمة: عبدالحميد بورايو، الجزائر، دار التّنوير،٢٠١٣م.

References :

- awlan almasadiru:
- kitab al'ithnynyt eabdalmaqsud khawjata, alaemal alkamilat lladyb al'ustadh 'ahmad alssibaey, aljuz' alawwal, khalaty kadirjan, majmueat qssyat, jidat, nashr altabeat al'uwlaa, 2009m.
- alkitaab alerby alssuewdy raqm 18 , khalati kadirjan , 'ahmad alsubaei , tihamat , ta2, 1401h /1980m.
- thanyan: almaraje:
- 'ahmad alssibaei adyban, saeid eali aljeydy, risalat majstir, alsueudiati, kuliyat alllught alerbyt bimakat almukaramati, 1999m.
- 'ahmad alssibaey.. rayid alnahdat al'adabiat washaykh almuarikhin alssewdyyna, (maqalatu), alsharif manjud, almajalat alearabiat majalat shahriatun, eadad (532) yanayir 2021m- jamadaa al'uwlaa 1442 ha, al'ahad 14/06/2015m.
- 'athar alshshakhsiat fi alrriwayat, fansun jufa, ta: lihasan 'ahmamata, dar altakwini, dimashqa, 2012m.
- al'adab allaatini, 'ahmad eatman, alqahirata, dar almaearifi,1994m.
- al'adab alnnisayy alssuewdy(nzrat fi alruwya walttashkyl), fawziat muhamad biryun, alqahirata, maktabat aladab, 2019m.
- alaistihlal fi alnasi al'adbi, yasin alnusayra, alqahirati, alhayyat aleamat liqusur althaqafati, 1998m.

- al'usus alnafsiat lil'iibdae aladby(fi alqisat alqasirat khassa) , shakir eabd alhumidi, alqahirati, alhayyat almsryt aleamat lilkitabi,2007m.
- al'usul fi alnahu, biaibn alssrraj ('abu bakr muhamad bin alssry bin sahl ta316hi),tahqiqu: eabd alhusayn alftly, bayrut, mwssast alrrisalt, 2003m.
- albahth ean kadarjan (maqalati), khulud safar alharthy jaridat aljazirat alssuewdyat, eadad alsabt 20 disambir 2017m.
- albutulat bayn alshshier alghnayy walssirt alshshaebya "eantarat bin shddad nmwdhjaan", muhamad 'abu alfutuh muhamad aleafifi, alqahirati, bitarak liltibaeat walnashri, 2001m.
- balaghat alssard alnnswy, muhamad ebdalmttlb, alqahirat, alhayyat aleammat liqusur alththaqaft,2007m.
- binyat alshshakl alrriwayy, hasan bahrawi, almarkaz alththqafy alerby, aldaar albayda', ta1, 1991m.
- tajribat fkryat, (maqalatu)eali alshshdwy, mawqie (thaqafati), 18 mayu 2014m.
- altahlil alnnssi, rulan barti, tarjamat wataqdimu: eabdalkabir alshsharqawy, dimashqa, dar altakwin liltaalif walttarjmt walnnashr, 2009m .
- dirasat fi alqssat alssuewdyat walkhalij alerby, mahmud radawi, aljameiat alearabiat alssuewdyat llththaqaft walfunun, alrryad, 1404h/1984m.
- dirasat fi alqissat alqasirati, ywsuf alshsharwny, dimashqa, dar talasi, dar tilas lildirasat walnashri, 1989m.

- sultat alsuwrati, makhluf hamaydatun, tunus, dar sahar lilnashri,2004m.
- siamya' al'ahwa' min halat al'ashya' 'iilaa halat alnnfsi, 'aljiradas.j ghirimas,jak funtfi, tarjamat wataeliqi: saeid binikrad, birut, dar alkitab aljadid 2010 mu.
- alssymya' aleamat wasimya' al'adab min 'ajl tasawur shamil, eabdalwahid almurabiti, bayrut, aldaar alearabiat lileulum nashiruna, manshurat alaikhtilafi,2000m.
- alshier al'iighriqi, 'ahmad eatman, alkuayti, ealam almaerifati, eadadu17 ,1984m.
- alsawt almunfaridu(miqatilat fi alqisat alqasirati, frank 'uwkunur, tarjamatu: mahmud alrabiey, alqahirati, almajlis al'aelaa lilthaqafati,2009m.
- alsuwrat alsahafiat dirasit siymiulujiatun, saeid saeid waeubaydat sabti, alqaahirat, almuktab aljamieii alhadithi, 2011m.
- eumdat alkitabi, alnnhhas ('abu jaefar 'ahmad bin muhamad bin 'iismaeil t 338hi), tahqiqu: basaam eabd alwahaab aljabi, bayrut, dar abn hazma, aljafan waljabii liltibaeat walnashri, 2004m.
- firdinand di susir(asul allisaniaat alhadithat waeilm alealamati), junathan kilr, tarjamata: eiz aldiyn 'iismaeil, alqahirata, almaktabat al'akadimiatu,2000m.
- fi al'adab alssewdy(drasat waqira'at nqdya), amal yusif, aldamaami, maktabat almutanbi,2012m.
- fi nazariat alrriwayat: buhuth fi tiqniaat alssard, eabdalmalik murtadi, alkuayti, ealam almaerifati.

- qamus al'adab wal'udaba' fi almumilat alearabiat alsueudiati, 'iiedadu: darat almalik eabd aleaziza, alrayad, 2013m.
- alqisat alqsyr(tarykhan, wnzryt, w'ibdaean), altaahir 'ahmad maki, alsueudiatu, maktabat almutanabiy, altabeat alhadiat eashratan,2011m.
- alqisat alqasirat fi mintaqat jazan, dirasat tahliliat naqdiatun, bitul husayn mubarki, bayrut, aldaar alearabiat lileulum-nashruna, 2014m.
- lisan alearabi, abn manzuri, alqahirati, dar almaearifi, (da.t)
- almajmueat alkamilat lilmufakir wal'adib alnaaqid al'ustadh eabd allah eabd aljabar(altayaarat al'adabiat alhadithat fi qalb aljazirat alearabiati: alnathr- fanu almaqalati), jidata, dar alfurqan lilnashr waltawziei, 1429h.
- almahkiu alssardy wtmththlat almakan almqddas(mn alwsf ..'iilaa alttawyli), majdi khawaji, tanta, dar alnaabighat ,2022m.
- madkhal 'iilaa al'adab al'iislamii, najib alkilani, qutru, silsilat kitab al'umati, 1417هـ.
- muejam alkitaab walmualifin fi almamlakat alearabiat alsueudiati,17,eali jawad altaahir, muejam almatbueat alerbyt, 1/265, 267 -
- muejam alllght alearbyat almueasirati, 'ahmad mukhtar eumur, bayrut, ealim alkutub, 1429 hi - 2008m.
- manahij alnnaqd alrrwayy, wajih yaequb alssayid, maktabat afaqi, alkuayti, ta1, 2013m.

- almujaz fi tarikh al'adab alerby alssuewdy, eumar alttayb alssasy, alrryad, maktabat dar zahran, 1995 m.
- alnnahw alwafi, eabaas hasan, alqahirata, dar almaearifi, altabeat alkhamisat eashrata, 2005m.
- alnnans alladhy wajad zillahu(eatabat alnnss alssardi alhadithi), muhammad syd ely eabdialeal, tanta, maktabat alnaabighati, 2022m.
- nazariat al'adbi, jamil nasiy altikriti, baghdadu, dar alrashid lilnashri, 2011m.
- alnnazryt alssymyayya(msar alttwlyd alddalali), 'a.j jirimas, ji. kurtis, fa. rastii, di.bat, tarjamatu: eabdalhamid burayu, aljazayir, dar alttnwyr,2013m.